الإسراء

مجلة إسلامية شاملة
تصدر عن دار الإفتاء الفلسطينية

وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ
يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ
مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ

هدية

الإسراء

مجلة إسلامية شاملة

تصدر مرة كل شهرين عن دار الإفتاء الفلسطينية ـ القدس

العدد 81 ذو القعدة ـ ذو الحجة 1429 هـ وفق تشرين الثاني ـ كانون الأول 2008 م

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ (الإسراء : 1)

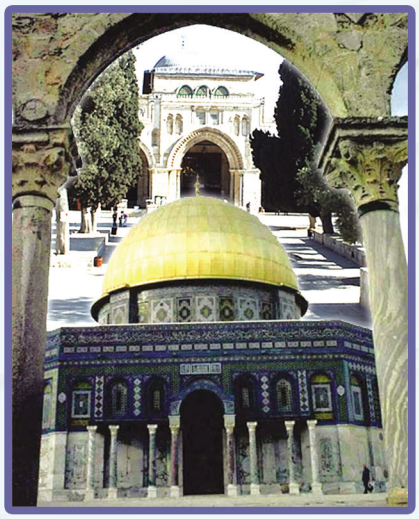

المشرف العـــام

الشيخ محمد أحمد حسين

رئيس التحريـــر

الشيخ إبراهيم خليل عوض الله

سكرتير التحرير

أ. يوسف تيسير محمود

هيئة التحـــرير

د. إسماعيل نواهضة

أ. د. حسن السلوادي

د. حمزة ذيب

د. سعيد القيق

د. شفيق عياش

ملحوظة : ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي صاحبه فحسب

المراسلات : مجلة الإسراء ، دائرة الإعلام ، دار الإفتاء الفلسطينية

ص.ب : 20517 - القدس / ص.ب : 1862 رام الله - تلفاكس : 02-6262495 / 02-2348603

موقعنا على الإنترنت : www.darifta.org للمراسلة على البريد الإلكتروني : israa@darifta.org

فهرس العدد

افتتاحية العدد

موبقـــة الـربـــا	الشيخ محمد أحمد حسين	4

كلمة العدد

المطلوب الأهم في مواجهة أزمة المال العالمية	الشيخ إبراهيم خليل عوض الله	8

ملف العدد

الشقيقان المسجد الحرام والمسجد الأقصى	الشيخ عمار بدوي	17
دراسة تحليلية حول (يسألونك عن الأهلة)	د. اسماعيل نواهضة	25
خير الأيام العشر الأولى من ذي الحجة	د. شفيق عياش	33
تنبيه القاصدين من الحجاج والمعتمرين	الشيخ احسان ابراهيم عاشور	37
من المواقع العظام في طيبة والبلد الحرام	الشيخ أحمد خالد شوباش	40
رحلة الحج والعمرة	الشيخ محمد أبو الرب	51

فتاوى

زاويـــة الفتـــاوى	الشيخ محمد أحمد حسين	57

أخلاقيات

الإســـلام ديـــن رحمـــة	د. سعيد القيق	62

فهرس العدد

فلسطينيات

القدس ليست من ذهب	الأستاذ جميل السلحوت	64
ممارسات اسرائيل في ظل تطور مشكلة الشرق الأوسط	د. حنا عيسى	67
مجزرة بلدة الطنطورة الفلسطينية	الأستاذ أحمد محمود القاسم	73

تراث وشخصيات

من تراثنا المخطوط في بيت المقدس	أ.د. حسن السلوادي	82
من أعلام فلسطين الإمام الشافعي	الأستاذ صلاح الدين أبو جزر	90
رحم الله أبا المظفر صلاح الدين الأيوبي	الأستاذ كمال بواطنه	99

نشاطات

من أخبار مكتب المفتي العام ودور الإفتاء	الأستاذ مصطفى أعرج	103
مسابقة العدد 81	أسرة التحرير	110
حل مسابقة 79 العدد	أسرة التحرير	111

أما بعد

الشهداء بروج هادية	الأستاذ طارق حميدة	112

موبقة الربا

الشيخ محمد أحمد حسين / المشرف العام

يحذر الرسول الأكرم ﷺ من أكل الربا والتعامل به في هديه الشريف، بل يعده في عداد الذنوب المهلكة لأصحابها التي تقودهم إلى الخسران في الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين، فيقول ﷺ : (**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ . قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ،وَقَذْفُ الْمُحْصِنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ**)

(صحيح مسلم، الإيمان، بيان الكبائر وأكبرها).

فقد قرن رسول الله ﷺ أكل الربا مع الذنوب العظيمة الكبيرة الموبقة لأصحابها، وعلى رأس هذه الذنوب الإشراك بالله تعالى، وتعلم السحر والعمل به، وقتل النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق، وأكل مال اليتيم، والهروب من ميدان الجهاد في سبيل الله، واتهام المؤمنات العفيفات بالزنى والفاحشة، وكلها ذنوب ومعاصٍ لها علاقة مباشرة بالمس بالعقيدة كالشرك بالله، والسحر، أو المس بالضرورات التي لا تقوم الحياة، ولا تصلح

إلا بالمحافظة عليها، كحماية النفس من العدوان والقتل؛ وحماية المال من السرقة أو التعامل الحرام وأكله بالباطل، ولا تتم حماية العقيدة والنفس والمال إلا بالدفاع عن هذه الضرورات في ساحات الجهاد، أو ميادين البيان والثقافة والفكر، كما لا تصان الأعراض وتحفظ الحرمات إلا بتحصين الأخلاق، وفرض العقوبة على من يحاول خرق حجاب الفضيلة، كذلك لا غرابة في تنفيذ حد القذف بحق من يتهم المؤمنات الغافلات بالفاحشة.

لذلك كانت هذه الموبقات من الذنوب الكبيرة التي حرمها الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، وأمر الأمة باجتنابها واجتثاثها من بين شعوبها ومجتمعاتها؛ لما لها من آثار مدمرة على حياة الأمة أفراداً وشعوباً وجماعات.

فلا يخفى على ذي بصر وبصيرة ما يفعله الربا والتعامل به في تقطيع أواصر المودة والرحمة بين أفراد المجتمع، وما يجلبه من شر وفساد على الإنسانية جميعها، يظهر ذلك جلياً في الآتي:

1. المتعامل بالربا عاص لله ورسوله، فهو بتعامله بالربا يقترف جريمة بشعة، عليه أن يسارع إلى التوبة منها، والتخلص من أموال الربا، أما إذا استحل التعامل بالربا فهو كافر مرتد عن دينه يقتل ردةً وكفراً.

2. يقود الربا صاحبه إلى التجرد من إنسانيته فيقسو قلبه ويجفو طبعه، فلا يعرف مواقف البر والرحمة، بل يلهث وراء المزيد من الربا وأمواله الزائلة، كالمسعور الذي لا يقر له قرار.

3. يحطم النظام الربوي نظام التكافل الاجتماعي بين المسلمين، وينشر الحقد والكراهية، ويقطع العلاقات الاجتماعية ، ويساعد على انتشار مشاريع اللهو والفساد والاستغلال، مما يعرقل نمو المشاريع الاقتصادية التي من شأنها أن ترفع مستويات الحياة إلى الأفضل والأحسن لشعوب الأمة، بل للإنسانية جميعها.

ولا أدل على ضرر الربا في وقتنا الحاضر من هذه الأزمة المالية التي اجتاحت مصارف

المال ومراكزه في أكبر اقتصاد في عالمنا المعاصر؛ اقتصاد الولايات المتحدة الأمريكية، سيدة النظام الرأسمالي الذي يقوم على دعامتين حرمهما الله، وهما الربا والاحتكار، مما أدى إلى اختلال واضح في هذا النظام، كلف الدولة مليارات الدولارات في محاولة لإنقاذ مصارفها واقتصادها من الانهيار الآني، وسيقع هذا الانهيار في المستقبل القريب إن لم تغير هذه الدولة، وكل الدول التي يقوم اقتصادها على نظام الربا، من أصول نظامها الاقتصادي، وتعدل كل المعاملات الملحقة به كالرهن العقاري، وسندات الاستثمار، وبيع الديون ورهنها.

فكل أنواع الربا حرام شرعاً، سواء أكان ذلك ربا ديون أم ربا بيع أم ربا قروض استهلاكية أم قروض إنتاجية.

ولا يزين إطلاق اسم الفائدة على الربح الربوي المعاملات الربوية التي ترتبط بهذه الفائدة، فهو حرام وملعون، كما أخبر النبي ﷺ بقوله: (لَعَنَ اللَّهُ آكِلَ الرِّبَا وَمُوكِلَهُ وَشَاهِدَهُ وَكَاتِبَهُ) (مسند أحمد، مسند المكثرين من الصحابة ، مسند عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه).

وإن قول الله تعالى في تحريم الربا، ووصف آكله كمن يتخبطه الشيطان من المس، لهو الفيصل القاطع لمن كان له قلب يعقل، أو عقل يتدبر، فلم يحرم الله أمراً فيه خير للإنسان والإنسانية.

فالله تعالى يقول: (الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الربا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ) (البقرة:276-275).

كما لم يعلن الله حرباً على ذنب إلا على آكل الربا، فقال جل شأنه : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الربا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ) (البقرة: 288-278)

هذا هو الربا، وهذا مصير المتعامل به؛ خسران في الدنيا، وهلاك في الآخرة، فهلا راجع المتعاملون بالربا مواقفهم، وسارعوا إلى إنقاذ أنفسهم من مس الربا وسعاره، وتابوا إلى الله توبة نصوحاً، عسى الله أن يرحمهم ويقبل توبتهم، ولهم في المعاملات المشروعة وكسب الحلال ما يغني عن الربا والتعامل به، فاستغلال المال في كسب الحلال في شركات المضاربة، أو التجارات والاستثمارات الحلال، هو أطيب لصاحب المال وماله، وأبعد من الشبهات والحرام، فمن أراد أن يتقي الشبهات، ويسلم من الربا وغباره، فليعمد إلى الحلال البين، وليتجنب الشبهات وما يوقع فيها. والله تعالى يجعل للمتقين مخرجاً وفرجاً.

أليس هو القائل: (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ) (الطلاق:3-2)

فبادروا أيها المسلمون إلى الخلاص من كل معاملة يشوبها الربا أو شبهته استبراءً لدينكم وتحصيناً لأموالكم واتباعا لأمر ربكم، واقتداء بسنة رسولنا وحبيبنا وأسوتنا صلى الله وسلم، وبارك عليه وعلى آله الطاهرين، وصحابته الغر الميامين، ومن تبعهم وسار على منهجهم إلى يوم الدين.

(الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الربا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (البقرة:275)

كلمة العدد

المطلوب الأهم في مواجهة أزمة المال العالمية

إبراهيم خليل عوض الله / رئيس التحرير

يواجه العالمان الإسلامي والعربي، دولاً وشعوباً، مؤسسات وأفراداً، مصاعب مالية واجتماعية ناجمة عن آثار أزمة الاقتصاد العالمية، فقد هبطت أسعار نفطهم بنسبة تجاوزت 50 %، مما يعني تدنياً في مستوى إيراداتهم من عوائد النفط، وهو مصدر رئيس لثراء معظم دولهم الغنية، ويبدو أن المصاعب لن تقف عند أسعار النفط، بل تجاوز مداها جراء انهيار أسعار الأسهم في المصارف العالمية، التي أفلس بعضها، وانخفضت أسعار العملات الأجنبية المعتمدة لدينا، مما يؤثر سلباً على اقتصادنا المرتبط جذرياً بالاقتصاد الرأسمالي الغربي ومصارفه وأسواقه وعملاته.

وأمام هذه المواجهة يُطرح التساؤل عن الموقف الإسلامي والعربي حيالها، فهل يا ترى هُدينا لاستنباط الدروس والعبر، أو ما زلنا نتابع السير في النفق المظلم؟

لقد سبق للنظام الشيوعي أن انهار في عقر داره، وانتهت جولته بالضربة القاضية، فذهب إلى غير رجعة، وها هو النظام الرأسمالي الذي حاول الاستفراد بالساحة العالمية يتهاوى إثر نقيضه الاشتراكي، وسيبقى نظامنا

الإسلامي بصفته الربانية الأبقى والأجدى بحل المشكلات، كيف لا؟! وهو من هدي رب العالمين، الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم، وهو سبحانه أعلم بحاله، { أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ } (الملك:14) فشرع له ما يصلح شأنه كله، بما تضمنه قرآنه الكريم، قال تعالى: { إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ} (الإسراء:9) وأمر الله باتباع أحكام القرآن وهديه، محذراً من الزيغ عنها لغيرها، فقال تعالى: { ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ من الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ } (الجاثية:18)

وقال سبحانه : { وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ من كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ } (الأعراف:145) فمن تركوا أحسن المواعظ والأنظمة والقيم، فقد تنكبوا الدرب، وساروا لديار الفاسقين بأرجلهم، والتي حل بقديمها وحديثها ما يدعو للعظة والاعتبار، وصولاً للأخذ بصراط الله المستقيم دون سواه، عملاً بقوله تعالى: { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } (الأنعام:153)

والأنظمة الاشتراكية والرأسمالية وغيرها من الأنظمة الوضعية، هي من السبل التي فرقتنا حيناً من الزمن، عندما بهرنا بريق الدعاية الخادعة لها، فحاول بعضنا الاستعاضة بها عن صراط الله المستقيم، وكانت النتيجة الحتمية التي قصمت ظهور تلك الأنظمة وكتب الله لنا أن نرى موت بعضها، ونعايش سكرات بعضها الآخر، فهذه روسيا موطن الاشتراكية وحضنها الأصيل تنفض اشتراكيتها عن كاهليها، بصورة انقلابية عجيبة، وها هي محاضن الرأسمالية تعاني برأسماليتها سكرات الموت، التي أصيبت بها في الأزمة المالية العاصفة، فبدت كزلزال مدمر يهدد وجود الأنظمة والدول والشعوب. ومن أبرز مسببات هذه الأزمة أن النظام المالي الرأسمالي العالمي فتح الآفاق للكسب الذي يهدف إلى جمع المزيد دون ضوابط، وورط شرائح كثيرة من الناس في عمليات إنفاق واسعة تجاوزت قدراتهم الواقعية دون تقدير العواقب، وكان من نتائج هذين العاملين وقوع الكارثة المالية التي شرعت بأكل الأخضر واليابس، ويبدو أنها لن تبقي ولا تذر،

وستطال الشرق والغرب دولاً وشعوباً ومؤسسات وأفراداً.

وحتى يكون الكلام أكثر وضوحاً، لا بد من وضع النقاط على الحروف، فالنظام المالي العالمي يعتمد الربا الذي يسمى في اصطلاحاتهم بالفائدة، التي أصبحت تؤثر على أسعار الأسهم والعملات وانتعاش الاقتصاد أو ركوده، حتى إن حكومات بعض الدول تتدخل بين الحين والآخر في خفض سعر الفائدة (الربا) أو رفعها لتوجيه حركة الاقتصاد نحو مستويات معينة أو حالات مستهدفة. وأصبح الربا يدخل في جل المعاملات المالية، بل إن بعض أصحاب الأموال اختاروا الركون إلى العوائد الربوية التي يكتسبونها مقابل أموالهم المدخرة في المصارف والبنوك، مما أثر سلباً على الحياة الاقتصادية في كثير من الدول، فأصيبت بالركود، لتعطل الاستثمار في المشاريع الاقتصادية، وبخاصة عند التخوف من الخوض في التنمية خلال الأحوال المضطربة سياسياً واقتصادياً، فرأى هؤلاء أن الربا أضمن، فاختاروه سبيلاً للثراء ، دون غيره من سبل الإنتاج .

وعلى أكتاف المدخرين تقوم أعمال البنوك والمصارف، فهي تعمل على تحصيل الربح الذي تدفع منه التزاماتها للمدخرين، ويقوم صلب عملها على إقراض المال المدخر لديها للمحتاجين إليه، مقابل عوائد ربوية تفوق ما تدفعه للمدخرين، وحاصل الفرق بين ما تقبضه وتدفعه يكون ربحها، الذي يتفاوت مستواه حسب شهرة البنك ونشاطه، وحجم أعماله ورأسماله. ويسلك البنك ما يتيسر له من الأساليب والوسائل التي تشجع على التعامل معه، سواء بالادخار أم بالقروض.

وفي مقابل تعطل أموال المدخرين عن الاستثمار المباشر، فإن المقترضين الذين تغريهم دعاية البنوك وشروط الدفع الميسر، يجدون أنفسهم في ورطات لها أول وليس لها آخر في كثير من الأحيان، فالبنوك تشجع الاستهانة بالاستدانة والاقتراض، ومن عبارات دعايتها: أفرش بيتك بكذا، تملك بيت العمر بأقساط شهرية تمتد لسنوات، احصل على سيارة العمر بدفعة أولى قيمتها كذا والباقي موزعة على أربعة وعشرين شهراً أو أقل أو أكثر، احصل على بطاقة فيزا كارد واشتر ما شئت دون أن تدفع أية نقود لصاحب

المتجر، أو اخرج في رحلة ترفيهية أنت وأسرتك بكذا وفي إطار كذا وكذا....

وما الذي حصل أو يمكن أن يحصل للأوضاع المالية والاقتصادية تبعاً لهذا التعامل؟

كان يمكن الاقتصار على تخيل ما سيحدث جراء هذا النهج الاقتصادي الربوي، لكن ما حدث مؤخراً من انهيار مصارف كبيرة في عدد من أغنى دول العالم تعدى حالة التخيل، وأصبح بمثابة شاهد حيّ وملموس على الآثار السلبية للتعامل بالربا، فالمتورطون بالقروض والاستدانة واجهوا مصاعب حالت دون تمكنهم من الوفاء بالتزاماتهم المالية التي تعهدوا بها للبنوك المقرضة، فتنازلوا عن مشترياتهم من عقارات وسيارات وغيرها مما اقترضوا لأجله ، وصارت تلك المشتريات مرهونة بشرط السداد، فلما أصابهم العجز سلموا الرهن للمرتهن، فأصبح لدى البنوك مقتنيات عقارية، وممتلكات معرضة للخسارة لهبوط أسعارها في الجو السائد، الذي يحيط به الركود من كل جانب، وتتفاقم فيه مشكلة قلة السيولة المالية التي تصبو إليها البنوك والمصارف.

فالمقترضون التزموا بتعهدات مالية فاقت قدراتهم، ولما واجهوا ساعة الحقيقة، عجزوا عن الوفاء، فلم يسددوا الدفعات المستحقة عليهم، فوقع الاضطراب، ودبت الفوضى، واضطر المقترضون للتنازل عن موجوداتهم ومشترياتهم الثابتة والمتنقلة، وفي المقابل جرت الرياح بما لا تشتهي سفن المقرضين، فلم يتمكنوا من استرجاع رؤوس أموالهم وعوائدها الربوية،ودبت النار في هشيم الاقتصاد، فانهارت بعض البنوك الكبرى، ووصل الطوفان إلى مؤسسات الدول، وأضحى يهدد كيانها ووجودها، وأنظمتها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية.

وبالعودة للموقف الإسلامي من هذه المشكلة، نجد حرباً معلنة من رب العالمين ورسوله الكريم محمد

صلى الله عليه وسلم على المتعاملين بالربا، وهي حرب صريحة جاءت بصورة قل نظيرها في القرآن الكريم ، فهي وردت بكلام فصيح وبلسان عربي مبين، لا يلزمه تفسير ولا تأويل، فبعد النهي القطعي والمباشر عن الربا، جاء الإعلان عنّ هذه الحرب، فقال تعالى في محكم التنزيل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ* فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ ﴾ (البقرة: 278-279).

وقد جاءت معظم الآيات التي تحدثت عن الربا متوالية في سورة البقرة، فنفى الله شبه الربا بالبيع، وبين سبحانه صورة مزرية لآكل الربا، فهو لا يقوم إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس، فقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الربا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (البقرة:275)

فالله سبحانه يصور حال المتعاملين بالربا وهم يتخبطون في أزمتهم وقلقهم واضطراب أوضاعهم، ويشبههم بالمتخبطين الذين أصابهم مس من الشيطان، ومن خلال الصور التي تنقلها وسائل الإعلام لسلوك المتعاملين في أسواق المال والبورصات العالمية، وبخاصة عند اضطراب وتيرة الأسعار، يمكن لأي متابع أن يشاهد صوراً جلية لحالات التخبط التي تنتاب هؤلاء المتعاملين، وهم يتابعون شاشات عرض الأسعار، فلا يدرون هل يبيعون الأسهم أم يدخرونها؟ وهل يبيعون الدولار أم يشترونه؟ ، هل يبيعون العقارات أم يبقونها؟ ، وهل يسحبون الودائع أم ينقلونها لمصارف أخرى؟ ، وإلى أي مصارف، تخبط واسع النطاق، تصوره الآية الكريمة التي شبهته بالمتخبط من مسّ الشيطان.

وتوعد سبحانه الربا بالمحق والإهلاك، فقال تعالى: (يَمْحَقُ اللَّهُ الربا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ) (البقرة:276) فالأرقام المرتفعة لرؤوس الأموال، والأرصدة المتخمة، والتضخم الفائق، يصبح بين عشية وضحاها كأن لم يكن، وتصبح أرقامه الضخمة لا تساوي الأوراق النقدية التي تعبر عنه .

فالاقتصاد العالمي يواجه أزمة خانقة وعامة سببها الرئيس خلل في ضوابط القيم والكسب والإنفاق، فالقيم التي سماتها الأنانية والجشع والتطلع للدنيا دون الآخرة، هي قيم منحرفة عن الصراط السوي، والكسب الذي يكون عماده الربا وتبييض الأموال المسلوبة، يكون مدمراً، والإنفاق غير المنضبط بمعايير وسع المنفق وقدرته والحلال والحرام، يكون مهلكاً، ووبال هذا كله وصل عالمنا العربي والإسلامي، فاكتوى بناره، لارتكازه على الربا في الادخار والبيع والشراء والإقراض، وما إلى ذلك من التعاملات الاقتصادية، فلا يكاد ينجو أحد من أخذ حظه من الربا سواء سعى لذلك برغبته، أم طاله نصيبه من ذلك مجبراً، تحت مسميات منمقة، وفي ظلال أساليب دعائية مغرية ومغوية، فأصبح من لديه مال يسعى لجمع المزيد، بأبسط السبل وأسرعها، وبأقل الجهود وأضمن النتائج، أما الفقير فوجد في الربا سبيلاً يبدو محسناً للمعيشة، ومسهلاً للحصول على الاحتياجات والكماليات، وهو سبيل قد يخدع البعض بظاهره الذي يبدو مسهلاً وميسراً، لكن باطنه فيه العذاب والمحق ونهايته الهلاك والدمار، فالذين زين لهم اقتراض أموال تغطي حاجاتهم وكمالياتهم، تعاملوا بالربا في معاملاتهم الاقتصادية، وغاب عن بال الفقير والغني المستزيد أن الربا ظاهره رحمة وسعة، وأوسطه عذاب واضطراب، وعاقبته هلاك ودمار في الدارين، وكان يمكن للدول والمؤسسات العربية والإسلامية التعلق بحبل النجاة الذي يتدلى لها من فيض الشرع الحنيف الذي منع الربا، وحرم الاقتراض إلا بعزم السداد، وغرس في أفرادها قيم القناعة والتعاون، وحذرهم من الجشع والشح، كما حذر من أن يمد الفرد رجليه إلا على قدر غطائه، بخلاف منهج النظام الربوي الذي يشجع التوسع في الاستدانة، فعن سلمة بن الأكوع

رضي الله عنه قال: (كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم، إذ أتي بجنازة، فقالوا: صل عليها، فقال: هل عليه دين؟ قالوا: لا ، قال: فهل ترك شيئا؟ قالوا: لا ، فصلى عليه. ثم أتي بجنازة أخرى. فقالوا : يا رسول الله صل عليها. قال: هل عليه دين؟؛ قيل نعم، قال : فهل ترك شيئا؟، قالوا: ثلاثة دنانير، فصلى عليها. ثم أتي بالثالثة ، فقالوا: صل عليها، قال: هل ترك شيئا؟ قالوا: لا ، قال: فهل عليه دين ، قالوا: ثلاثة دنانير ، قال: صلوا على صاحبكم. قال أبو قتادة: صل عليه يا رسول الله ، وعلي دينه. فصلى عليه) (صحيح البخاري، كتاب الحوالات، باب إن أحال دين الميت على رجل جاز)

فأمر الدَّين عظيم، والوفاء بسداده واجب، والمقترض الذي يعزم السداد، يجد من الله عوناً، قال صلى الله عليه وسلم: « من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه، ومن أخذ يريد إتلافها أتلفه الله ». (صحيح البخاري، كتاب في الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس، باب من أخذ أموال الناس يريد أداءها أو إتلافها)

وعلى الرغم من أن الأزمة المالية العالمية لا يقتصر مداها على الأبعاد التي تطرقنا إليها آنفاً، والتي تتلخص بقضية الربا والتوسع في الاقتراض الربوي، فإن هذين البعدين يؤثران لا محالة في هذه الأزمة وجوداً وحجماً وانتشاراً، فهل من معتبر؟ هل من ناظر فيما آل إليه الربا من كوارث؟! هل من معتبر فيما حصل لدول الأرض شرقها وغربها؟، والأقوام الذين خلوا وإخوانهم المعاصرين، الذين واجهوا ساعة الحقيقة حين شن الله عليهم طرفاً من حربه التي أعلنها على المرابين(قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ* هَـذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ) (آل عمران: 138-137)

والشاعر يعظ قائلاً :

تـــروم الخلـــد في دار المـــنـــايـا ... فقـــــــد رام مثـلك ما تـــروم

تنـام ولـــم تنـــم عنك المنـــــايا ... تنبه للمنيـــــــة يـــا نـــؤوم

فهل آن الأوان للعرب والمسلمين الذين خدعتهم حضارة الشرق والغرب، فأخذوا بأنظمتها وأفكارها وقيمها من دون شرع الله ودينه القويم، هل آن لهم أن يفيقوا من غفلتهم، فينفضوا عن أنفسهم الغبار المهلك، ويعودوا لدينهم، عقيدة وشريعة وقيماً وفكراً، فدينهم يهدي للتي هي أقوم، وفيه تبيان لكل شيء، وفيه صلاحهم وخيرهم في دنياهم وآخرتهم، كّما يعتقد المتقون منهم، مصداقاً لقوله تعالى: (وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْاْ مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْراً لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ) (النحل:30)

وكيف لا يكون ديننا كذلك وهو صبغة الله التي قال فيها من أدرك حقيقتها: (صِبْغَةَ اللّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدونَ) (البقرة:138)

وبعد الذي أصابنا من المهلكات، هل يا ترى نفكر جدياً بأن نكون ممن استجابوا لله والرسول بعد أن أصابتهم الجراح؟، وأثنى الله عليهم بقوله سبحانه: (الَّذِينَ اسْتَجَابُواْ لِلّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَاتَّقَواْ أَجْرٌ عَظِيمٌ) (آل عمران:172)

فنسأله أن يوفقنا لنكون منهم، وممن استجابوا للمسارعة للمغفرة والجنة، تلبية لنداء الله سبحانه: {وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ } (البقرة: 133)

مَنْ يتق الله يُحمد في عواقبه *** ويكفه شرَّ مَنْ عزوا ومَنْ هـــابوا
مَنْ استجار بغير الله في فزع *** فإن ناصره عجـــــز وخـــذلان
فالزم يديك بحبل الله معتصما *** فإنه الركن إن خانتك أركـــــان

ومن متطلبات المغفرة والجنة الإقلاع عن الربا وغيره من المعاصي، فالله تعالى يقول : (وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ* أُوْلَئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ) (آل عمران: 136-134)

فالمطلوب في مواجهة الأزمة المالية العالمية العاصفة المسارعة في الإقلاع الفوري عن

الربا أخذاً وإعطاء، استجابة لأمر الله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) (البقرة:278)

وندعو أهلنا ممن يصرون على تنكب الدرب في شتى بقاع الأرض بمثل ما دعا خيار الناس أهليهم، فقال الواحد منهم : (وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ) (غافر:41)

غير أن بعض الذين ما زالوا في التيه والغي، يأملون بأن تنفرج الأزمة الخانقة، ويعودوا للأخذ بالأنظمة السياسية والفكرية والاقتصادية التي جاءت بالأزمة، والله ينكر على من يختار هذا المنحى، فيقول سبحانه: (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ) (المائدة:50) ويقول سبحانه: (أَتَدْعُونَ بَعْلاً وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ) (الصافات:125)

فالمطلوب الأهم عربياً وإسلامياً في مواجهة هذه الأزمة المالية الخانقة البحث عن طوق النجاة، قبل البحث عن أدوات الخروج الترقيعي من هذه الأزمة الكارثية، فقبل البحث عن وسائل ومشاريع واستراتيجيات العلاج التصبيري، علينا أن نعيد النظر في حساباتنا الفكرية والعقائدية والتشريعية، لنميز الغث من السمين، ونختار النافع منها، عوضاً عن الزبد، ليتحقق لنا وعد الله الذي ذكره في قوله سبحانه: (... كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ) (الرعد:17)

فما ينفع الناس هو ما اختاره الله لهم منهجاً وتشريعاً، والزبد هو ما خدعهم بريقه من المناهج الأرضية التي أحلت لهم ما حرم الله، وقد أنكر الله استبدال زبد الكفر بشرع الله ودينه، فقال سبحانه: (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ) (المائدة:50).

ونحن على يقين أن الله خلقنا ولم يتركنا سدى، فنسأله سبحانه أن يهدينا صراطه المستقيم، لنكون ممن قال فيهم: (الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ} (الزمر:18)

الشقيقان : المسجد الحرام والمسجد الأقصى

بقلم : الشيخ عمار توفيق أحمد بدوي / مفتي محافظة طولكرم

وُلِدَ الشقيقان المسجدُ الحرام، والمسجدُ الأقصى من رَحِمٍ واحد؛ هو رَحِمُ البَرَكةِ، والقداسةِ. وعلى فراش الطّهر، ومهدِ القُدُسية. الأول فرشت له مكة بطاحها السمراء، والثاني مدّت له فلسطين ربوعها الخضراء، فاتكأ على صخرتها المباركة.

وحينما نتحدث عن المساجد؛ فإننا نتحدث عن خير البقاع في الأرض، فعن ابن عمر رضي الله عنهما أنّ رجلاً سأل النبي ﷺ: أيّ البقاع شر؟ قال : « لا أدري حتى أسأل جبريل» فسأل جبريل فقال: لا أدري حتى أسأل ميكائيل؛ فجاء فقال: « خير البقاع المساجد، وشرها الأسواق»(1). وإذا ما تحدثنا عن المسجدين الشقيقين المسجد الحرام، والمسجد الأقصى؛ فإننا نتحدث عن أقدس البقاع في الأرض.

وفي مثل هذه الأيام، تثور لواعج الشوق، وتطير قلوب المحبين، مع قوافل الحجيج الميمّمين شطر المسجد الحرام؛ فكلما سارت قافلة، أو حدا حادي الركبان بالحجاج؛ كلما غمرت أمواجُ الشوق القلوب، وعبّقت النسائم القدسية في بُرديّ الهائمين بالبيت العتيق.

هناك حيث المسير الطويل الوعر، الذي شقّ طريقَه جدُنا الخليل إبراهيم عليه السلام؛

يحمل على عاتقه، أبانا إسماعيل عليه السلام؛ حينما كان وليداً؛ يقطع به المفاوز الوعرة، ومجاهيل الطرقات؛ فاستودع الله تعالى طفلاً قادماً من فلسطين، استودعه في ذلك الوادي المقفر بين الصخور السوداء الصلداء، فاصطفاه الله ﷻ نبيّاً في الصالحين، فقدّر لذلك الطفل أن يكون مختاراً (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيّاً) (2)؛ فكان الطفل اليافع أَهْلاً للصعاب، وصاحب العزم المشدود، والصابر على لظى الصحراء، وحرّ الرمضاء، يمضي فيها ما قدّر له الله أن يمضي؛ ليكون من نسله النّجيب سيّد الثقلين، وإمام المرسلين، المبعوث رحمة للعامين محمد ﷺ. فالنطفة تلد النطفة؛ فَنُسِلَ محمد ﷺ من ظهر ذلك النبي الكريم إسماعيل، وأطلق عليه العرب لقب «ابن الذبيحين»(3).

وكتبَ الله تعالى في سفر الخلود المكنون؛ أن يعود نسل إبراهيم عليه السلام إلى المنابع الأولى للنبوة في فلسطين المباركة؛ مهد الأنبياء؛ وذلك عَبْرَ رحلة الإسراء والمعراج؛ حيث بيت المقدس؛ مجمع القداسة والبركة؛ فطيّب ثراها رسول الله محمد ﷺ بقدميه الشريفتين، وضمّخ ترابَها بعطره الزكيّ الفوّاح.

يا قوافل الحجيج:

إذا ما شددتم الرّحال، وعقدتم العزم على المسير، وأسرجتم الدابّة، وهيأتم الزاد، والراحلة، ورسمتم بأذهانكم خارطة المسير، وهاجت عواطفكم لرؤية البيت العتيق، والمسجد العتيد، فلا تنسوا أن الرّاحلة تهفو حنيناً، وتحدو طرباً للمسجد الشقيق الحاضر الغائب، إنه المسجد الأقصى المبارك، الذي شرّفه الحبيب محمد ﷺ، فجعله ثالث الحرمين، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت من النبي ﷺ يقول: «لا تشدّ الرِّحال إلا إلى ثلاثة مساجد؛ المسجد الحرام، ومسجد الأقصى، ومسجدي هذا»(4).

وأنتم تيمّمون شطر المسجد الحرام، اذكروا في أخيلتكم، وضمائركم أنّ البيت العتيق، شقيق المسجد الأقصى، فعن أبي ذرّ رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن أوّلِ مسجد وضع في الأرض؟ قال: المسجد الحرام قلت: ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى قلت: كم بينهما؟

قال: أربعون عاما »(5).

فالمسجدان أبناء جيل واحد، عدا أنهما أبناء رَحِمِ البركة، والقداسة. فهل دارت الأسئلة الحائرة في أذهانكم، وتساءلتم أين هو الشقيق من شقيقه، والخليل من خليله؟ هل تفكّرتم بثاني المسجدين وجوداً على الأرض، وثاني مسجد عَرَفَه البشر منذ عمَّرَ البشرُ الأرض؟ ولم يكن وقتها نبيّ الله داود، ولا سليمان عليهما السلام، ولا أحد من بني إسرائيل، ولا هيكل مزعوم، ولا جدار حائط موهوم.

يا ضيوف الرحمن:

ستقفون في الصلاة أسراباً، وتتلاصق مناكبكم صفوفاً، وتتماس أقدامكم وقوفاً، وتحيطون الكعبة المشرفة؛ أساور دائرة؛ تحتضنونها بقلوبكم، وصدوركم، وتستقبلون المسجد الحرام قِبلةً في صلاتكم؛ فلا تنسوا أبداً أنه قد كانت لكم قِبلةٌ من قبل؛ هي أولى القبلتين؛ المسجد الأقصى المبارك، واسألوا أنفسكم أين هذه القِبلةُ المنسية اليوم؟

وكي لا تنسوا هذه القِبلةَ الأولى؛ فقد خلّدها الله ﷻ في كتابه الكريم، فقال جلَّ جلاله، وتقدّست أسماؤه: (سَيَقُولُ السُّفَهَاء مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا) (6). وعن البراء بن عازب ﷺ قال: «كان رسول الله ﷺ صلى نحو بيت المقدس ستة عشر، أو سبعة عشر شهراً»(7).

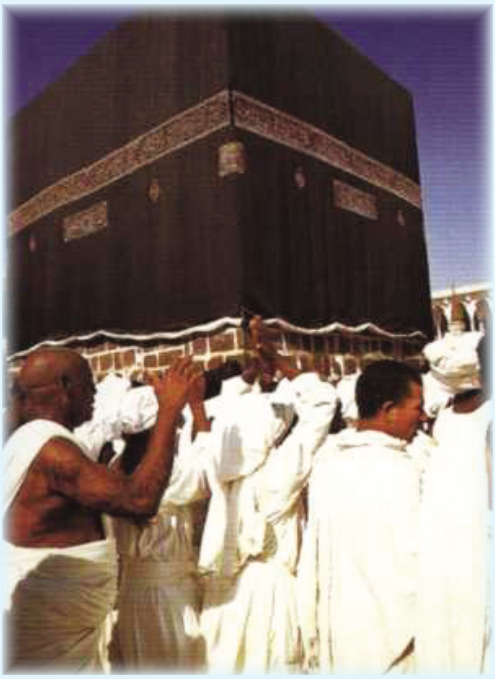

وكلما دخلتم المسجد الحرام، وطاب لكم فيه المقام، وقلّبتم النظر في أركان البيت، واكتحلت عيونكم برؤية الكعبة المشرفة؛ فلا تنسوا أنّ هذا المسجد العظيم؛ كان منطلقاً لمعجزة خالدة محّصت

قلوب المؤمنين، وأبهرت نفوس المشركين، بما فيها من عجائب القدرة الإلهية الباهرة، ودلائلها الساطعة، وأسري بالنبي محمد ﷺ من هذا المسجد القديم بمكة، إلى المسجد الأقصى بالقدسّ الشريف؛ فلا تنسوا ذلك كله، واقروؤا قول الله تعالى: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ) (8). فحيثما حللتم في المسجد الحرام، فستظلّ صورة المسجد الأقصى تتراءى في أخيلتكم، ففي كلّ ركن من أركان البيت العتيق همسةٌ حانية تقول: « لا تنسوا الأقصى الشقيق ».

أيها الطائفون بالكعبة المشرفة:

ستنتظم قوافل الحجيج في حركة الطواف، بداية من الحجر الأسود، وتنتهي به في أشواط سبعة، على مسمّياتها المشروعة، فأنتم ستصلون إلى حِجر إسماعيل عليه السلام، المعروف بالحطيم(9)، وتجعلونه عن يساركم بالطواف، فإذا وصلتموه؛ فتذكروا، ولا تنسوا أنّ نبينا محمداً ﷺ كان في هذا المكان الطاهر، ومنه انطلق إلى المسجد الأقصى المبارك، فمن جوار البيت العتيق؛ حيث تحجّ قوافل الحجيج؛ انطلقت قافلة الإسراء في الليلة القمراء المباركة إلى المسجد الأقصى المبارك في القدس الشريف في فلسطين الطاهرة. فعن مالك بن صعصعة رضي الله عنهما أنّ نبي الله ﷺ حدثهم عن ليلة أسري به فقال : «بينما أنا في الحطيم، وربما قال في الحِجر مضطجعاً؛ إذ أتاني آت – قال وسمعته يقول فشق – ما بين هذه إلى هذه – فقلت للجارود وهو إلى جنبي: ما يعني به؟ قال من ثغرة نحره إلى شعرته. وسمعته يقول من قصّه إلى شعرته – فاستخرج قلبي ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة إيماناً؛ فغسل قلبي ثم حشي، ثم أعيد، ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض– فقال له الجارود: هو البراق يا أبا حمزة؟ قال أنس: نعم – يضع خطوه عند أقصى طرفه، فَحُمِلت عليه؛ فانطلق بي جبريل»(10).

وإذا أديتم الصلاة ركعتين بعد الطواف، وسرتم إلى زمزم، تشربون من نميرها الدافق،

وسلسبيلها الرائق؛ فاذكروا هناك أمرين، أنّ عين زمزم انبجست بعذب الماء على يد أبينا إسماعيل عليه السلام، القادم من فلسطين المباركة إلى مكة المكرمة. وأمّه هاجر المغتربة عن فلسطين في ضيافة الرحمن ﷻ. وإذا وصلتم زمزم، وشربتم ماءها؛ فاذكروا الأمر الثاني؛ وهو المسجد الأقصى المبارك؛ فقبل الإسراء من مكة المكرمة إلى القدس الشريف؛ نزل الوحي الأمين جبريل عليه السلام، «وفرج صدر النبي ﷺ، وغسله بماء زمزم»(11)؛ تمهيداً لرحلته المعجزة إلى المسجد الأقصى المبارك.

أيها الحجّاج العُباد في رحاب البيت العتيق:

أتيتم البيت العتيق آمّين جنباته الطاهرات، تبتغون أداء الحجّ، والصلاة في جواره المقدّس، وتقيمون الصلاة خُشّعاً في الليل والنهار، فلا تنسوا لحظة واحدة؛ أنّ فريضة الصلاة التي تتقربون بها إلى الله ﷻ إنما فُرضت في رحلة الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وبالعروج من المسجد الأقصى للسماوات العُلى. قال رسول الله ﷺ: « ثم فرضت علي خمسون صلاة، فأقبلت حتى جئت موسى فقال: ما صنعت؟ قلت: فرضت علي خمسون صلاة. قال: أنا أعلم بالناس منك؛ عالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، وإن أمتك لا تطيق. فارجع إلى ربك؛ فسله فرجعت فسألته؛ فجعلها أربعين. ثم مثله، ثم ثلاثين، ثم مثله، فجعل عشرين، ثم مثله فجعل عشراً فأتيت موسى فقال مثله، فجعلها خمساً فأتيت موسى فقال ما صنعت؟ قلت: جعلها خمسة فقال مثله. قلت: سلمت بخير. فنودي: «إني قد أمضيت فريضتي، وخففت عن عبادي، وأجزي الحسنة عشراً»(12).

فالمسجد الأقصى يصحبكم في حلِّكم، وترحالكم، وطوافكم، وصلاتكم، فهو الأخ الشقيق للمسجد الحرام.

ولا شكّ أنكم تلتمسون الأجر والثواب، ومضاعفة الحسنات في صلواتكم، فلا تنسوا أيضاً أنّ المسجد الأقصى تضاعف فيه الحسنات في أداء الصلوات، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ قال: (صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد

الحرام) (13). ولا تنسوا هذا الحديث النذير البشير، واعقلوه بقلوبكم الرقيقة، وعقولكم الكبيرة، وأحلامكم الرشيدة، فعن أبي ذر الغفاري ﷺ قال: « تذاكرنا ونحن عند رسول الله ﷺ أيهما أفضل مسجد رسول الله ﷺ أو مسجد بيت المقدس؟ فقال رسول الله ﷺ: « صلاة في مسجدي هذا أفضل من أربع صلوات فيه، ولنِعمَ المُصلّى، وليوشكن أن لا يكون للرجل مثل شطن [حبل] فرسه من الأرض، حيث يرى منه بيت المقدس، خير له من الدنيا جميعاً، أو قال خير من الدنيا، وما فيها »(14).

وأنتم تروحون وتجيئون إلى المسجد الحرام، ابتغاء البركة فيه، لقوله تعالى: (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ)(15). فلا تنسوا أنّ البركة نزلت، وأحاطت المسجد الأقصى المبارك أيضاً، الذي قال الله تعالى فيه: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ)(16). وعندما تنزلون بأرض مكة المباركة؛ اذكروا أرض فلسطين المباركة التي قال الله تعالى فيها (وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ) (17). فمكة هدى للعالمين، وفلسطين بركة للعالمين.

أيها الحجيج أنتم أمواج فلا تنسوا:

صحيح أنكم أمواج بشرية اصطخب بهم السهل، والجبل، وتلبيتكم تصدح في السماوات، وتصدع في آفاق الأرض، وأنتم على هذه الحال من الكثرة الكاثرة، والموج اللّجب الموّار، لا تنسوا أنّ النبي ﷺ في معجزة الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى رأى أمته لَجبة عظيمة، سدّ عددها الفضاء، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما أسري بالنبي ﷺ، جعل يمر بالنبي، والنبيين، ومعهم القوم. والنبي، والنبيين، ومعهم الرهط. والنبي، والنبيين، وليس معهم أحد. حتى مرّ بسواد عظيم؛ فقلت من هذا؟ قيل: موسى وقومه. ولكن ارفع رأسك؛ فانظر. قال: فإذا سواد عظيم قد سدَّ الأفق من ذا الجانب، ومن ذا الجانب؛ فقيل: هؤلاء أمتك»(18).

فهل يُنسى المسجد الأقصى المبارك بعد ذلك كله؟؟ فوصية الأخ الأكبر البيت العتيق لا تنسوا المسجد الأقصى الأخ الشقيق.

الهوامش

(1) ابن حبان، محمد: صحيح ابن حبان. تحقيق شعيب الأرنؤوط. ط2. بيروت: مؤسسة الرسالة. 1413هـ/ 1993م.ج4ص476. وقال الأرنؤوط: حديث حسن. الحاكم، محمد بن عبد الله: المستدرك على الصحيحين. تحقيق مصطفى عطا. بيروت: دار الكتب العلمية. 1411هـ/1999م. ج1ص167. البيهقي، أحمد بن الحسين: سنن البيهقي. تحقيق محمد عطا. مكة المكرمة: دار الباز. 1414هـ/1994م. ج7ص50.

(2) سورة مريم:54.

(3) ابن كثير، إسماعيل بن عمر: تفسير القرآن العظيم. ج4ص20. يقصدون بذلك الذبيح إسماعيل عليه السلام، ووالد النبي ﷺ عبد الله كما في قصة عبد المطلب.

(4) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري. تحقيق د مصطفى ديب البغا. بيروت: دار ابن كثير، اليمامة. ط3.1407هـ/1987م. ج2ص703.

(5) النيسابوري، مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار إحياء التراث العربي. ج1ص370.

(6) سورة البقرة: 142.

(7) البخاري: صحيح البخاري. ج1ص374.

(8) سورة الإسراء: 1.

(9) سمّي الحطيم حطيماً؛ لأنهم كانوا إذا حالف بعضهم بعضاً ألقى الحليف في الحِجر نعلاً، أو سوطاً، أو قوساً أو عصا؛ علامة لقصد حلفهم، فسموه الحطيم، لذلك؛ لكونه محطم أمتعتهم». انظر: ابن حجر، أحمد بن علي: فتح الباري شرح صحيح البخاري. ج7ص159. والحطيم هو الحِجر نفسه.

(10) البخاري: صحيح البخاري. ج3ص1410.

(11) البخاري: صحيح البخاري. ج3ص1217.

(12) البخاري: صحيح البخاري. ج3ص1173.

(13) البخاري: صحيح البخاري.ج1ص398.

(14) الحاكم: المستدرك على الصحيحين. وقال: هذا صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وقال الذهبي: صحيح.

وصححه الألباني. انظر: الألباني، محمد ناصر الدين: الثمر المستطاب في فقه السنة والكتاب. ط1. غراس للنشر والتوزيع. ص549.

(15) سورة آل عمران: 96.

(16) سورة الإسراء: 1.

(17) سورة الأنبياء:71.

(18) الترمذي، محمد بن عيسى: سنن الترمذي. تحقيق أحمد شاكر.بيروت: دار إحياء التراث العربي. ج4ص631. وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

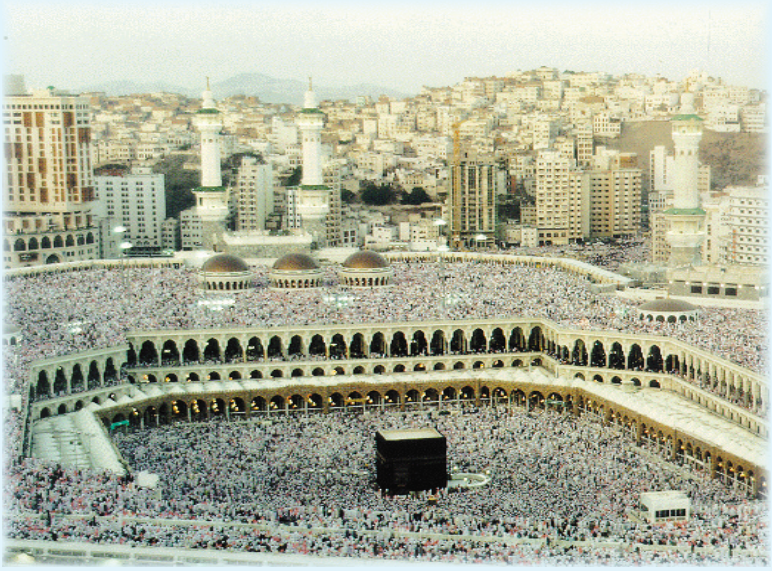

ففي ربعهم لله بيت مبارك *** إليه قلوب الخلق تهوى وتهواه

يطوف به الجاني فيغفر ذنبه *** ويسقط عنه جرمه وخطاياه

فكم لذة كم فرحة لطوافه *** فلله ما أحلى الطواف وأهناه

نطوف كأنا في الجنان نطوفها *** ولا هم لا غم فذاك نفيناه

دراسة تحليلية حول قوله تعالى:
(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ) ؟

إعداد: د. إسماعيل نواهضة / مدرس التفسير وعلوم القرآن /جامعة القدس

يقول الله تعالى: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (1).

مناسبة هذه الآية بما قبلها:

لما بيّن الله تعالى في الآيات السابقة أحكام الصيام، وأباح للمؤمنين الاستمتاع بالطعام والشراب والنكاح في ليالي رمضان، عقبه بالنهي عن أكل الأموال بغير حق، لأن المسلم لا يصح له أن يستمتع بالمال الحرام لا في ليالي رمضان ولا غيره، ولما كان حديث الصيام يتصل برؤية الهلال، وهذا يحرك في النفوس خاطر السؤال عن الأهلة، جاءت هذه الآية الكريمة تبين أن الأهلة مواقيت لعبادات الناس، في الصيام والحج وسائر أنواع القُربات(2).

سبب نزول الآية:

يكاد يتفق أهل التفسير في نقل سبب نزول هذه الآية، إلا أن بعضهم أبهم، وبعضهم صرح بذكر مَنْ سأل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن الهلال، ونزلت الآية جواب لسؤال.

قال الإمام القرطبي – رحمه الله – : هذا مما سأل عنه اليهود واعترضوا به النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال معاذ – رضي الله عنه – : يا رسول الله إن اليهود تغشانا ويكثرون مسألتنا عن الأهلة، فما بال الهلال يبدو دقيقاً، ثم يزيد، حتى يستوي ويستدير،

ثم ينتقص حتى يعود كما كان؟ فأنزل الله هذه الآية، وقيل: إن سبب نزولها سؤال قوم من المسلمين النبي – صلى الله عليه وسلم – عن الهلال، وما سبب محاقه وكماله ومخالفته لحال الشمس، قاله ابن عباس و قتادة والربيع وغيرهم(3).

قال في زاد المسير: هذه الآية من أولها إلى قوله: «والحج» نزلت على سبب، وهو أن رجلين من الصحابة، قالا: يا رسول الله: ما بال الهلال يبدو دقيقا، ثم يزيد، ويمتليء حتى يستدير، ويستوي، ثم لا يزال ينقص ويدق، حتى يعود كما كان؟ فنزلت: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِ). هذا قول ابن عباس(4).

المعنى الإجمالي لهذه الآية :

تتضمن هذه الآية درساً تعليمياً عن الأهلة ، كما تتضمن تصحيحاً لعادة جاهلية، وهي إتيان البيوت من ظهورها، بدلاً من أبوابها في مناسبات معينة.

تقول بعض الروايات إن الرسول– صلى الله عليه وسلم – سئل عن ظهور الأهلة وعن نموها وتناقصها ... ما بالها تصنع هذا ؟ وتقول بعض الروايات : إنهم قالوا: يا رسول الله لم خلقت الأهلة ؟ وقد يكون هذا السؤال في صيغته الأخيرة أقرب إلى طبيعة الجواب. فقال الله تعالى لنبيه –صلى الله عليه وسلم–: قل: هي مواقيت للناس والحج. مواقيت للناس في حلهم وإحرامهم، وفي صومهم وفطرهم، وفي حجهم، وفي نكاحهم وطلاقهم وعدتهم، وفي معاملاتهم وتجاراتهم وديونهم ، وفي أمور دينهم ودنياهم على سواء.

يقول سيد قطب حول هذا الموضوع:

« وسواء أكان هذا الجواب رداً على السؤال الأول أم على السؤال الثاني، فهو في كلتا الحالتين اتجه إلى واقع حياتهم العملي، لا إلى مجرد العلم النظري؛ وحدثهم عن وظيفة الأهلة في مواقعهم وفي حياتهم، ولم يحدثهم عن الدورة الفلكية للقمر، وكيف تتم ،وهي داخلة في مدلول السؤال: ما بال القمر يبدو هلالاً ...الخ ، كذلك لم يحدثهم

عن وظيفة القمر في المجموعة الشمسية أو في توازن حركة الأجرام السماوية ، وهي داخلة في مضمون السؤال: لماذا خلق الله الأهلة ؟ فما هو الإيحاء الذي ينشئه هذا الاتجاه في الإجابة ؟.

لقد كان القرآن بصدد إنشاء تصور خاص، ونظام خاص، ومجتمع خاص: كان بصدد إنشاء أمة جديدة في الأرض، ذات دور خاص في قيادة البشرية، لتنشئ نموذجاً معيناً من المجتمعات غير مسبوق، ولتعيش حياة نموذجية خاصة غير مسبوقة، ولتقر قواعد هذه الحياة في الأرض، وتقود إليها الناس.

والإجابة العلمية عن هذا السؤال ربما كانت تمنح السائلين علماً نظرياً في الفلك، إذا هم استطاعوا بما توافر لديهم من معلومات قليلة في ذلك الحين أن يستوعبوا هذا العلم، ولقد كان ذلك مشكوكاً فيه كل الشك، لأن العلم النظري من هذا الطراز بحاجة إلى مقدمات طويلة، كانت تعد بالقياس إلى عقلية العالم كله في ذلك الزمان معضلات.

من هنا عدل عن الإجابة التي لم تتهيأ لها البشرية، ولا تفيدها كثيراً في المهمة الأولى التي جاء القرآن من أجلها. وليس مجالها على أية حال هوالقرآن. إذ القرآن قد جاء لما هو أكبر من تلك المعلومات الجزئية. ولم يجئ ليكون كتاب علم فلكي أو كيماوي أو طبي؛ كما يحاول بعض المتحمسين له أن يلتمسوا فيه هذه العلوم، أو كما يحاول بعض الطاعنين فيه أن يتلمسوا مخالفاته لهذه العلوم.

إن كلتا المحاولتين دليل على سوء الإدراك لطبيعة هذا الكتاب، ووظيفته ومجال عمله. إن مجاله هو النفس الإنسانية والحياة الإنسانية، وإن وظيفته أن ينشئ تصوراً عاماً للوجود وارتباطه بخالقه، ولوضع الإنسان في هذا الوجود وارتباطه بربه، وأن يقيم على أساس هذا التصور نظاماً للحياة يسمح للإنسان أن يستخدم كل طاقاته؛ ومن بينها طاقته العقلية التي تقوم هي بعد تنشئتها على استقامة، وإطلاق المجال لها لتعمل – بالبحث

العلمي – في الحدود المتاحة للإنسان – وبالتجريب والتطبيق، وتصل إلى ما تصل إليه من نتائج ليست نهائية ولا مطلقة بطبيعة الحال»(5)

تعريف الأهلَّة والتفسير التحليلي لهذه الآية:

الأهلة: جَمعُ الهلال، وجُمِعَ وهو واحد في الحقيقة من حيث كونه هلالاً واحداً في شهر، غير كونه هلالاً في آخر، فإنما جمع أحواله من الأهلة. ويريد بالأهلة شهورها، وقد يعبر بالهلال عن الشهر لحلوله فيه كما قال:

أخوان من نجد على ثقة ... الشهر مثل قلامة الظفر

وقيل: سمي شهراً لأن الأيدي تشهر بالإشارة إلى موضع الرؤية ويدلون عليه.

ويطلق لفظ الهلال لليلتين من آخر الشهر، وليلتين من أوله، وقيل: لثلاث من أوله، وقال الأصمعي: هو هلال حتى يحجر ويستدير كالخيط الرقيق، وقيل: بل هو هلال حتى يبهر بضوئه السماء، وذلك ليلة سبع، قال أبو العباس: وإنما قيل له هلال؛ لأن الناس يرفعون أصواتهم بالإخبار عنه.

ومنه استهل الصبي إذا ظهرت حياته بصراخه واستهل وجهه فرحاً، وتهلل إذا ظهر فيه السرور.

قال أبو كبير:

وإذا نظرتَ إلى أسرَةِ وجههِ ... برقتْ كبرقِ العارض المتهلل

وقال آخر:

المرءُ مِثْلُ هلالِ حين تُبصرهُ ... يبدو ضئيلاً ضعيفاً ثم يَتَّسِقُ

يَزدادُ حتّى إذا ما تَمَّ أعْقَبه .. كَرُ الجديدين نقصاً ثم يَنْمَحِقُ(6)

قوله تعالى : (قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ والحجِّ)(البقرة:189)

المِيقاتُ : مصدر الوَقْت، والآخِرةُ مِيقاتُ الخَلْقِ، ومَواضِعُ الإحرامِ مَواقيتُ الحجِّ، والهِلالُ مِيقاتُ الشَّهْر(7).

والمواقيت : جمع ميقات بمعنى الوقت، كالميعاد بمعنى الوعد، والفرق بينه وبين المدة والزمان : أن المدة المطلقة امتداد حركة الفلك من مبدئها إلى منتهاها، والزمان: مدة مقسومة، والوقت: الزمان المفروض لأمر(8).

ومعنى الآية: (يسألونك يا محمد عن الأهلة ومحاقها وسِرَارِها وَتمامها واستوائها، وتغير أحوالها بزيادة ونُقصان وَمحاق واستسرار، وما المعنى الذي خَالف بينه وبين الشمس التي هي دائمة أبدًا على حال واحدة لا تتغير بزيادة ولا نقصان ؟)

فقُلْ يا محمد: خالف بين ذلك ربُّكم لتصييره الأهلة – التي سألتم عن أمرها، ومخالفة ما بينها وبين غيرها فيما خالف بينها وبينه – مواقيتَ لكم ولغيركم من بني آدم في معايشهم، ترقبون بزيادتها ونقصانها ومحاقِها واستسرارها وإهلالكم إياها، أوقات حلّ ديونكم، وانقضاء مدة إجارة ما استأجرتموه، وتصرُّم عدة نسائكم، ووقت صومكم وإفطاركم، فجعلها مواقيت للناس(9).

وقد جعل بعض علماء المعاني هذا الجواب، أعني قوله: {قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ}من الأسلوب الحكيم، وهو تلقي المخاطب بغير ما يترقب، تنبيهاً على أنه الأولى بالقصد، ووجه ذلك أنهم سألوا عن أجرام الأهلة باعتبار زيادتها ونقصانها، فأجيبوا بالحكمة التي كانت تلك الزيادة والنقصان لأجلها؛ لكون ذلك أولى بأن يقصد السائل، وأحق بأن يتطلع لعلمه(10).

عن ابن عمر – رضي الله تعالى عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم : « جعل الله الأهلة مواقيت للناس، فصوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته، فإن غم عليكم فعدوا ثلاثين يوماً »(11).

قوله تعالى: {وَالْحَجِّ}: يعني: وللحجِّ، يقول: وجعلها – أيضًا – ميقاتًا لحجكم، تعرفون بها وقت مناسككم وحَجكم.

«والحج» بفتح الحاء قراءة الجمهور. وقرأ ابن أبي إسحاق بالكسر في جميع القرآن، وعن

سيبويه: الحج كالرد والشد، والحج كالذكر، فهما مصدران بمعنى، وقيل: الفتح مصدر، والكسر الاسم.

وقد أفرد سبحانه الحج بالذكر؛ لأنه مما يحتاج فيه إلى معرفة الوقت، وأنه لا يجوز النسيء فيه عن وقته، بخلاف ما رأته العرب، فإنها كانت تحج بالعدد وتبدل الشهور، فأبطل الله قولهم وفعلهم.

ولقد استدل الإمام مالك وأبو حنيفة وأصحابهما في أن الإحرام بالحج يصح في غير أشهر الحج بهذه الآية؛ لأن الله تعالى جعل الأهلة كلها ظرفا لذلك، فصح أن يحرم في جميعها بالحج، وخالف في ذلك الشافعي؛ لقوله تعالى: {الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ} (12). وأن معنى هذه الآية أن بعضها مواقيت للناس، وبعضها مواقيت للحج، وهذا كما تقول: الأرض لزيد وعمرو، وذلك يقضي أن يكون بعضها لزيد وبعضها لعمرو، ولا يجوز أن يقال: جميعها لزيد وجميعها لعمرو(13).

وذُكر عن القفال – رحمه الله – أنه قال: إن إفراد الحج بالذكر إنما كان لبيان أن الحج مقصور على الأشهر التي عينها الله تعالى لفرضه، وأنه لا يجوز نقل الحج من تلك الأشهر إلى أشهر أخرى، كما كانت العرب تفعل ذلك في النسيء، والله أعلم(14).

وقوله تعالى: (وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوْا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوْا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا) (البقرة:189)

وجه اتصال هذا بالسؤال عن الأهلة: أن الأنصار كانوا إذا حجوا لا يدخلون من أبواب بيوتهم، إذا رجع أحدهم إلى بيته بعد إحرامه قبل تمام حجه؛ لأنهم يعتقدون أن المحرم لا يجوز أن يحول بينه وبين السماء حائل، وكانوا يتسنمون ظهور بيوتهم.

قال أبو عبيدة: إن هذا من ضرب المثل، والمعنى: ليس البرّ أن تسألوا الجهال، ولكن البرّ التقوى، واسألوا العلماء، كما تقول: أتيت هذا الأمر من بابه. وقيل: هو مَثَل في جماع النساء، وأنهم أمروا بإتيانهنّ في القبل لا في الدبر. وقيل غير ذلك.

والبيوت جمع بيت، وقُرئ بضم الباء وكسرها.(15).

يقول سيد قطب: «وسواء كانت هذه عادتهم في السفر بصفة عامة، أو في الحج بصفة خاصة، وهو الأظهر في السياق، فقد كانوا يعتقدون أن هذا هو البر - أي الخير أو الإيمان - فجاء القرآن ليبطل هذا التصور الباطل، وهذا العمل المتكلف الذي لا يستند إلى أصل، ولا يؤدي إلى شيء، وجاء يصحح التصور الإيماني للبر، فالبر هو التقوى، هو الشعور بالله ورقابته في السر والعلن، وليس شكلية من الشكليات التي لا ترمز إلى شيء من حقيقة الإيمان، ولا تعني أكثر من عادة جاهلية.

كذلك أمرهم بأن يأتوا البيوت من أبوابها، وكرر الإشارة إلى التقوى، بوصفها سبيل الفلاح : (وَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (البقرة:189).

وبهذا ربط القلوب بحقيقة إيمانية أصيلة هي التقوى، وربط هذه الحقيقة برجاء الفلاح المطلق في الدنيا والآخرة؛ وأبطل العادة الجاهلية الفارغة من الرصيد الإيماني، ووجه المؤمنين إلى إدراك نعمة الله عليهم في الأهلة التي جعلها الله مواقيت للناس والحج، كل ذلك في آية واحدة قصيرة» (16).

والله أعلم.

وصلى الله على النبي محمد وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

الهوامش والمصادر

1 . سورة البقرة آية: 189.

2 . صفوة التفاسير للصابوني 1/124.

3 . انظر: الجامع لأحكام القرآن لمحمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد الله (2/339).

4 . زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي (1/195) ط: المكتب الإسلامي- بيروت الطبعة الثالثة، 1404 هـ.

انظر: فتح القدير للشوكاني(1/291) حيث ذكر أن سبب النزول أخرجه ابن عساكر بسند ضعيف، كما ذكر سبب النزول النسفي في تفسيره (1/93) والسيوطي في الدر المنثور(1/490)، والبيضاوي في تفسيره(1/474).وكذا في معالم التنزيل للبغوي(1/211). الرازي 5/132 . أسباب النزول للواحدي ص: 28.

5. في ظلال القرآن، لسيد قطب 1/181.

6. أسرار البلاغة (1/49).

7. انظر: كتاب العين(5/199) للخليل بن أحمد الفراهيدي.

8. تفسير البيضاوي(1/474)بتصرف

9. جامع البيان في تأويل القرآن(3/555) لمحمد بن جرير الطبري، 224 - 310 هـ ط: مؤسسة الرسالة.

10. فتح القدير(1/249).

11. قال الشيخ الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم : 3093 في صحيح الجامع.

12. سورة البقرة آية: 197.

13. جامع البيان في تأويل القرآن (2/343)

14. مفاتيح الغيب (3/139) للرازي.

15. فتح القدير (1/249).

16. في ظلال القرآن لسيد قطب (1/184).

خير الأيام العشر الأولى من ذي الحجة

د. شفيق عياش / جامعة القدس

إن العشرة أيام الأولى من ذي الحجة هي من أفضل أيام العام عند الله سبحانه، حيث جاءت السنة النبوية الشريفة مؤكدة فضلها، وداعية إلى كثرة الأعمال الصالحة فيها، فعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى اللّه عز وجل ، من هذه الأيام ـ يعني أيام العشر، قالوا: يا رسول اللّه ولا الجهاد في سبيل اللّه؟ قال: ولا الجهاد في سبيل اللّه، إلا رجل خرج بنفسه وماله، ثم لم يرجع من ذلك بشيء**)[1].

حقا إنها أيام مباركة عند الله سبحانه، الأعمال الصالحة فيها مضاعفة، فرحم الله عز وجل عبدا استقبل هذه الأيام الفاضلة بالتوبة، وأكثر فيها من صالح الأعمال، فصام وصلى وزكى وتصدق، فلم يترك مثل هذه الأيام تذهب من عمره سدى، فقدم لآخرته أعمالا صالحة، تكون له سترا من النار.

يقول سبحانه وتعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً * خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً) (الكهف: 107، 108) .

وإن اليوم التاسع من ذي الحجة أفضل أيام السنة كلها، إنه اليوم الأكبر، يوم عرفة، اليوم الذي يجتمع فيه المسلمون على جبل الرحمة «عرفات»، فكأنه يوم الحشر العظيم، الذي يقف فيه الحجاج بين يدي الله تعالى بقلوب واجفة، وألسنة بالذكر لاهجة، وبالدعاء إلى الله ضارعة، يجتمعون فيه من أقطار الدنيا، مشرقها ومغربها، يرجون رحمة

1 أبو داود- كتاب الصيام، حديث رقم2438.

الله سبحانه وتعالى ويخشون عذابه، فينزل الله عليهم الرحمات، ويغفر لهم جميع السيئات ويباهي بهم ملائكة السماوات، ويعتق رقابهم من النار.

ورد في صحيح مسلم عن السيدة عائشة -رضي الله عنها-، عن النبي صلى الله عليه وسلم: (**ما من يوم أفضل عند الله تعالى من يوم عرفة، ينزل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا فيباهي بأهل الأرض أهل السماء، فيقول: انظروا إلى عبادي شعثا غبرا ضاحين، جاءوا من كل فج عميق، يرجون رحمتي، ولم يروا عذابي، فلم ير أكثر عتيقا من النار من يوم عرفة**) [2]، وإنما كان يوم عرفة يوم المغفرة الشاملة الكاملة، لأن الحج يكمل بالوقوف فيه، وهو ركن الحج، ويوم عرفة هو اليوم المشهود الذي منَّ الله سبحانه وتعالى على عباده المسلمين بإكمال دينهم، رضي الله لهم الإسلام دينا، وكان من يمن هذا اليوم الأغر المشهود من الله عز وجل على عباده المسلمين بإكمال دينهم، ورضي لهم الإسلام دينا، فنزل فيه قول الله تعالى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً) (المائدة:3) .

فيالها من فرحة عظيمة يفرح بها المؤمنون بعفو الله تعالى ورحمته، ويسعدون بمرضاة الله عليهم، وتكفير السيئات عنهم، واستجابة دعواتهم، إنه ولا شك بالنسبة إليهم، العيد الأكبر- عيد الفرحة العظمى- والمنة الإلهية الكبرى.

وإن يوم عرفة يذكرنا بخطبة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في حجة الوداع، التي قرر فيها مبادئ الإسلام، وكانت حجة الوداع في السنة العاشرة للهجرة، وسميت بهذا الاسم لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يحج بعدها، وقال للناس فيها، لتأخذوا مناسككم فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه [3].

لقد خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الأجيال كلها صغارا وكبارا، نساء ورجالا من فوق جبل عرفات، مرسيا لهم قواعد الإسلام الحنيف، راسما للأمة طريقها المستقيم

2 مسند أبو يعلى جزء 4 حديث رقم 2090.

3 رواه الإمام مسلم في كتاب الحج. باب استحباب رمي جمرة العقبة.

مخططا لهم منهاجها القويم السليم، وهو يقول بعد أن حمد الله وأثنى عليه، وذكر ووعظ: أي يوم أحرم؟ أي يوم أحرم؟ قال: فقال الناس: (يوم الحج الأكبر يا رسول الله، قال: فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا، ألا لا يجني جان إلا على نفسه، ولا يجني والد على ولده، ولا ولد على والده، ألا إن المسلم أخو المسلم، فليس يحل لمسلم من أخيه شيء إلا ما أحل من نفسه، ألا وإن كل ربا في الجاهلية موضوع، لكم رؤوس أموالكم، لا تظلمون ولا تظلمون، غير ربا العباس ابن عبد المطلب فإنه موضوع كله [4]، ألا وإن كل دم كان في الجاهلية موضوع، وأول دم وضع من دماء الجاهلية دم الحارث بن عبد المطلب كان مسترضعا في بني ليث فقتلته هديل، ألا واستوصوا بالنساء خيرا، فإنما هن عوان عندكم، ليس تملكون منهن شيئا غير ذلك، إلا أن يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضربا غير مبرح، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا، ألا إن لكم على نسائكم حقا، ولنسائكم عليكم حقا، فأما حقكم على نسائكم فلا يوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذن في بيوتكم من تكرهون، ألا وإن حقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن) [5].

هذا، فإن علينا أن نعطي هذه الأيام المباركة حقها، فنجد في الطاعات، ونفارق المعاصي والآثام، ونتقرب إلى الله سبحانه وتعالى بما أمرنا به، ونتجنب ما نهانا عنه، حتى يتقبل منا صالح أعمالنا ويتجاوز عن خطايانا، وكل مصر على ارتكاب المعاصي والآثام، فهو معتد آثم، وقد أخبر الله سبحانه أنه لا يحب المعتدين.

كما أنه في هذه الأيام المباركة، على المسلمين قاطبة أن يتوبوا إلى الله سبحانه توبة نصوحا، وأن يعملوا الصالحات، إذ التوبة النصوح ندم على ما فرط، وعمل يكفر الذنوب ويمحو بها الخطايا، وبعد عن المحرمات، وقد قيل لبعض الصالحين، ما بالنا

4 المراد بموضوع كله: أي كله باطل ومتروك. ومعنى عوان: أي يطعنكم ويقمن على شؤونكم.
5 رواه الترمذي في كتاب تفسير القرآن عن رسول الله عليه وسلم وقال حديث حسن صحيح.

ندعو فلا يستجاب لنا؟ قال لأن قلوبكم ماتت بعشرة أشياء فقيل له ، ما هي؟ فقال: عرفتم الله فلم تطيعوه، وعرفتم الرسول ولم تتبعوا سنته، وعرفتم القرآن ولم تعملوا به، وأكلتم نعمة الله ولم تؤدوا شكرها وعرفتم الجنة فلم تطلبوها، وعرفتم النار ولم تهربوا منها، وعرفتم الشيطان ولم تحاربوه ووافقتموه، وعرفتم الموت فلم تستعدوا له، ودفنتم الأموات فلم تعتبروا بهم، وانتبهتم من نومكم فاشتغلتم بعيوب الناس، وتركتم عيوبكم، وبعد كل هذا، أفلا نعود إلى مرضاة ربنا، ونستغفره في هذه الأيام المباركة التي أقسم بفضلها سبحانه.

أسأل الله تعالى أن يوفقنا جميعا بحسن الاتباع وأن يجنبنا الابتداع، إنه نعم المولى ونعم المجيب.

فطفنا بـه سبعـاً رملـنـا *** وأربعة مشينا كما قد أمرناه
كذلك طاف الهاشمي محمـد *** طواف قدوم مثل ما طاف طفناه
وسالت دموع من غمام جفوننا *** على ما مضى من إثم ذنب كسبناه
ونحن ضيوف الله جئنا لبيته *** نريد القرى نبغي من الله حسناه

تنبيه القاصدين من الحجاج والمعتمرين

بقلم : الشيخ / إحسان إبراهيم عاشور ... مفتي محافظة خان يونس

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وبعد :

فليس السفر إلى الحج رحلةً ترفيهيةً ، ولا سياحيةً ترويحيةً ؛ بل هو رحلةٌ إيمانيةٌ ، وسياحةٌ روحيةٌ ، وتَجَرُّدٌ قلبي تسمو به الروح إلى بارئها .

إن شَدَّ الرحال إلى البيت العتيق يحتاج إلى بذل المال والنفقة ، ويتطلب ترك الأهل ومغادرة الأوطان، ولا ينفك عن المشقة والتعب والنصب؛ كيف لا ؟؛ وهو سفرٌ ، والسفر قطعة من العذاب ! – كما وصفه صلى الله عليه وسلم –، كما أنه عبادة متميزة ، وشعائر متعددة ، تـحتاج إلى جهد وعناء ، وصبر ومصابرة ، وبالجملة فهو جهاد لا شوكة فيه .

لذا فلحرص أخي المسلم على اغتنام هذه الفرصة التي قد لا تتكرر ، بسبب الإحصار أو ارتفاع الأسعار ، فإذا أحسنت فيها رجعت من ذنوبك كيوم ولدتك أمك ، وإلا عضضت على الأنامل حسرة وندامة .

وحرصاً على أن تستفيد من هذه الرحلة الإيمانية ؛ فإنني أضع بين يديك جملة من النصائح ؛ حذراً من أن تقع في الأخطاء والمخالفات ، أو تقصِّر في العبادة والطاعات ، فتبوء بالخسران ، أو ترجع بالنقصان؛ ومن ذلك :

1 ـ بادِرْ بالحج فور استطاعتك ، ولا تؤجلْ حتى تحجَّ وأنت مريض ، أو كبير السن ؛ لا تقوى على وَعْثَاءِ السفر ، ولا تستطيع إتقان المناسك ؛ فتكون عالةً على غيرك ، أو

تضعُف عن أداء العبادة على وجهها الأكمل ، وحينها تبحث عن الرخص ، وتتجاوز عن السُّنن ؛ قال تعالى : (فَاسْتَبِقُواْ الْخَيْرَاتِ .) (البقرة:148).

2 ـ بادِرْ قبل سفرك إلى الصلح مع الله ؛ بالتوبة النصوح ، والتطهر من الذنوب والمعاصي ، وعقد العزم على عدم العودة إليها . ثم اصطلحْ مع الناس ؛ بقطع الخصومات، وفضِّ المنازعات ، وترك الهجران ، ورَدِّ المظالم إلى أهلها ، وإرجاع الحقوق لأصحابها ؛ فإن ذلك هو عماد التقوى ، وإنما يتقبل الله من المتقين .

3 ـ احرص قبل سفرك على إخلاص النية لله ، وتعَلُّم المناسك ، ومعرفةِ ما يلزم الحاج من الأحكام ، ولا يَمنَعَنَّك الحياءُ من السؤال عما تجهل ؛ فلا حياء في تعلم أمور الدين ؛ بل هو واجب على من أراد الحج .

4 ـ احذَرْ من صحبة السفهاء والفساق ، وابحث عن رفقة صالحة ، وصحبة مؤمنة من الأخيار ؛ أهل الطاعة والتقوى والفقه في الدين ؛ لأنهم نعم الزاد في السفر ، والمعين على الطاعة ، والمنقذ من الوقوع في الزلل أو الخطأ ، والمُذكِّر بالآخرة ؛ فإن مَثَلَ الجليس الصالح ، والجليس السوء كحامل المسك ، ونافخ الكير .

5 ـ اشتغل بالذكر ، والدعاء ، والتلبية ، وتلاوة القرآن ، خاصة في عرفات ، وأيام مِنى؛ لقوله سبحانه وتعالى : (. . فَاذْكُرُوا اللهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ..) (البقرة: 200)، ولا تنشغل بشراء الهدايا وبالهلع في جمع مازاد عن الحاجة من وجبات الطعام ، والشراب ، والفاكهة، التي توزع على الحجيج .

6 ـ عليك بالصبر ، وسعة الصدر ، وحسن الخلق ، واحذر من اللغو والرفث ، والجدال والمزاح ، والمشاجرة ، وسوء الخلق ؛ لا سيما على المعابر ، وفي السكن ، وعند استعمال المصاعد ، ونقل الأمتعة؛ قال تعالى : (الحجُ أشهُرٌ معلوماتٌ ؛ فَمَن فَرَضَ فيهِنَّ الحجَّ فلا رَفَثَ ولا فُسُوقَ ولا جِدَالَ في الحجِّ وما تفعلوا من خيرٍ يَعلَمْهُ اللهُ ..) (البقرة:197) .

7 ـ اغتنم وجودك في مكة والمدينة ، فحافظ على الصلوات في الحرمين الشريفين ما

استطعت إلى ذلك سبيلاً ، وإياك أن تَرْكَنَ إلى الراحة ، أو تبخلَ بأجرة الطريق ، فتصلي في السكن ، أو في مسجد قريب منه ؛ فإن مضاعفة الصلاة الوارد ذكرها في الحديث الصحيح هي خاصة بالمسجد الحرام ، والمسجد النبوي ؛ للنص عليهما صراحة في قوله ﷺ : (**صلاة في مسجدي هذا . أفضل من ألف صلاة فيما سواه ، إلا المسجد الحرام)** (صحيح مسلم، الحج، فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة) ، وفي رواية عند الإمام مسلم (. . **إلا مسجد الكعبة**)(صحيح مسلم، الحج، فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة)، ولأن المسجد الحرام يتميز بكثرة الجماعة ، والقرب من الكعبة، والتوجه إلى عين القبلة، وإجماع العلماء على مضاعفة الصلاة فيه بمائة ألف صلاة، بخلاف المساجد الأخرى .

8 ـ حافظ على النظافة أينما حلَلْتَ ؛ فالنظافة عنوان المسلم ، وإماطة الأذى شعبة من الإيـمان .

9 ـ لا يشترط عليك أختي الحاجة أن تُحْرِمي في ثياب بيضاء ، كما تفعل بعض النساء، ويكفيك ثوب تتوافر فيه الشروط الشرعية ؛ واجتنبي الثياب الشفافة أو الضيقة التي تُظهِرُ شيئاً من جسدك أو تَصِفُهُ ، واحذري من التهاون في أمر الحجاب ، ومزاحمة الرجال أثناء السفر ، أو في المساكن ، وتَجَنَّبي قصَّ بعضِ شعرك أمام الناس عند المروة وقت التحلل ؛ لأنه لا يجوز كشف الشعر أمام الأجانب .

10 ـ وأخيراً تذكر ـ أخي الحاج ـ أن العودة الحقيقية من الحج ليست برجوع الإنسان إلى أهله سالماً فقط ؛ بل برجوع الإنسان إلى خالقه ؛ فاحرص على عودتك إلى الله كحرصك على عودتك إلى أهلك ، أو أشد ؛ أسأل الله لمن يقصد الحج حجاً مبروراً ، وسعياً مشكوراً، وذنباً مغفوراً ، وتجارة لن تبور .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

من المواقع العظام في طيبة والبلد الحرام

بقلم : الشيخ أحمد خالد شوباش / مفتي محافظة نابلس

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد :

يضم البلد الحرام والمدينة المنورة عدداً من المواقع المعظمة ، والمشاعر المقدسة ، والمقامات المباركات والآيات البيّنات، مما يزيد البيت الحرام تعظيماً وإكراماً وتشريفاً ، ويزيد المدينة المنورة فضلاً وتكريماً .

وقد جاءت نصوص الكتاب والسنة مبينة فضل هذه المواقع المباركة وأحكامها ، وموضحة طرق تعظيمها، وما يشرع من عبادة الله فيها ، وما يجوز فيها ويحظر .

مكة المكرمة حفظها الله :

وفيها مجموعة مباركة من الأماكن المعظمة، وما يتعلق بها من أحكام، أهمها :

أولاً : الكعبة وبعض أحكامها :

الكعبة بيت الله الحرام في وسط المسجد الحرام، مربع الشكل، بابه مرتفع عن الأرض، سميت بذلك لأنها مكعبة على خلقة الكّعب، وورد ذكرها في القرآن صراحة ، قال سبحانه : { جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً لِلنَّاسِ } (المائدة:٩٧). ومن أسمائها ما جاء في قوله تعالى : { وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } (البقرة:127) ، وقال سبحانه : { وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ } (الحج:29) .

ومن الأحكام المتعلقة بها :

أ) الطواف حولها :

لم يشرع الله لأحد بالطواف حول بنيان غير الكعبة ، وهذا الطواف من أفضل

الأعمال، قال سبحانه: { وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ } (البقرة:125) .

والطواف ركن في الحج والعمرة لا يصحان إلا به ، والتطوع به من أفضل الأعمال، فعن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (من طاف سبعاً فهو كعدل رقبة) (أخرجه الترمذي والحاكم وصححه الألباني) . وأوجب الشارع على كل حاج مغادر أن يودع مكة بطواف الوداع، فقد روى مسلم عن النبي ﷺ قوله : (لا ينفرن أحد حتى يكون آخر عهده بالبيت) (صحيح مسلم، الحج، وجوب طواف الوداع وسقوطه عن الحائض).

ب) الكعبة قبلة المسلمين أحياء وأمواتاً :

فقد قال سبحانه لرسوله عليه السلام : { فول وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ } (البقرة:144)، واستقبال عينها فرض على من عاينها، ومن ترك ذلك عمداً لم تصح صلاته، ومن كان بعيداً فعليه أن يستقبل ناحيتها وشطرها ، واستثني من ذلك المتنفل خاصة في السفر يصلي، حيث توجهت به سيارته.

وهي قبلة الأموات، فالمسلم يُجعل على جنبه اليمين، ووجهه قبالة القبلة، والعمل على هذا عند أهل الإسلام منذ زمن النبي عليه السلام .

ج) النهي عن استقبال الكعبة واستدبارها عند قضاء الحاجة :

فعن أبي أيوب الأنصاري، قال : قال رسول الله ﷺ : (إذا أتيتم الغائط، فلا تستقبلوا القبلة، ولا تستدبروها، ولكن شرقوا أو غربوا ، قال أبو أيوب فقدمنا الشام فوجدنا مراحيض بنيت قبل القبلة فننحرف ونستغفر الله تعالى)(صحيح مسلم، الطهارة، الاستطابة) .

وجمهور أهل العلم أن المنع من ذلك في الصحراء والفضاء، أما في البنيان فجائز.

د) واستحب العلماء الصلاة داخل الكعبة لثبوت ذلك عن النبي ﷺ .

هـ) نهاية أمر الكعبة

من علامات الساعة تخريب الكعبة وهدمها وذلك يوم لا يبقى في الأرض أحد، يقول: الله الله، روى البخاري ومسلم في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال :

(يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة) .

ثانياً : الحجر الأسود

وهو الحجر المنصوب في الركن الشرقي للكعبة ، ومن محاذاته يبدأ الطواف ، وهو من آيات البيت البينات، ومن مكانته وأحكامه:

أ) حجر من الجنة

عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن النبي ﷺ قال : (الحجر الأسود من الجنة) (رواه النسائي وصححه الألباني).

وعنه رضي الله عنهما بلفظ : (نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضاً من اللبن فسودته خطايا بني آدم) (رواه الترمذي وصححه الألباني)،

وإذا كانت آثار المعاصي على الجمادات كذلك فماذا تفعل بالقلوب !!

ب) حجر يُقبل ويستلم ويسجد عليه

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : (رأيت رسول الله ﷺ يستلمه – أي الحجر– ويقبله) (صحيح البخاري، الحج، تقبيل الحجر الأسود) .

وإذا لم يتيسر للطائف تقبيله استلمه بيده، ومسحه بها ،ثم قبلها، أو يؤشر له عن بُعد، ولا يؤذي الآخرين، فإن إيذاء الناس حرام، ولا يفعل ذلك لأجل السنة ، وكل ذلك دون اعتقاد أن الحجر يضر أو ينفع .

ج) المسح عليه يحط الخطايا

قال رجل لابن عمر: يا أبا عبد الرحمن ، ما أراك تستلم إلا هذين الركنين – أي الحجر الأسود والركن اليماني – ؟ قال : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : (إن مسحهما يحطان الخطيئة) (رواه النسائي وصححه الألباني) .

د) الحجر يشهد يوم القيامة لمن استلمه بحق

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : (إن لهذا الحجر لساناً وشفتين يشهد لمن استلمه يوم القيامة بحق) (أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي، وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه) .

هـ) التكبير عند المرور عليه بدءاً وانتهاءً

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:(طاف النبي ﷺ بالبيت على بعير كلما أتى الركن أشار إليه بشيء كان عنده وكبر)(صحيح البخاري، الحج، المريض يطوف راكباً).

ثالثاً : الركن اليماني

وهو ركن الكعبة الغربي الجنوبي ومن السنة استلامه دون تقبيله ، فعن عبدالله ابن عمر ؛ أن قال : (لم أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح من البيت ، إلا الركنين اليمانيين)(صحيح مسلم، الحج، استحباب استلام الركنيين اليمانيين في الطواف دون الركنيين)

رابعاً : الملتزم

مكان الالتزام من الكعبة فيما بين بابها والحجر الأسود، كما ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (هذا الملتزم بين الركن والباب) (مصنف عبد الرزاق بإسناد صحيح) . ولا فرق بين التزامه عند دخول مكة أو قبل الوداع ، ويأتي المسلم الملتزم ويضع صدره ووجهه وذراعيه وكفيه، فيدعو ويسأل الله حاجته .

خامساً : الحِجْر

وهو الجزء الواقع شمال الكعبة، على شكل نصف دائرة ، وهو جزء من الكعبة ، وذلك أن قريشاً لما بنت الكعبة قصّرت بها النفقة، ولم يحصل البناء على قواعد إبراهيم كاملة، وحجرت على مواضع أساس إبراهيم، ولذلك سمي حِجراً ، عن عائشة رضي الله عنهما قالت : قال رسول الله ﷺ : (إن قومك استقصروا من بنيان البيت ولولا حداثة عهدهم بالشرك أعدت ما تركوا منه فإن بدا لقومك أن يبنوه فهلمّي لأريك ما تركوا منه فأراها قريباً من سبعة أذرع) (صحيح مسلم، الحج، نقض الكعبة وبنائها) والصلاة في الحِجر صلاة داخل الكعبة، لقول النبي ﷺ لعائشة وكانت تحب أن تدخل البيت فتصلي فيه ، قالت : فأدخلني الحِجر، وقال لي : (صلي في الحِجر فإنما هو قطعة من البيت) (أخرجه أحمد وابن خزيمة في صحيحه) . والطائف لا بد أن يطوف من حوله لا فيه .

ولا يصح تسمية الحِجر بحجر إسماعيل ، وليس إسماعيل – عليه السلام – مدفوناً

فيه ولا غيره من الأنبياء .

سادساً : مقام إبراهيم

ورد في الآثار أن المقام هو الحجر الذي قام عليه إبراهيم – عليه السلام – عند بناء الكعبة لما ارتفع البناء، ثم قام مؤذناً عليه في الناس بالحج، بعد اكتمال البناء، قال سبحانه: {فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً } (آل عمران:97).

قال أبو طالب في قصيدته المشهورة

وموطئ إبراهيم في الصخر رطبة على قدميه حافياً غير ناعلِ

ومما ورد في فضله :

أ) أمر الله باتخاذه مصلى لمن طاف ببيته الحرام ، قال جل شأنه : { وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى } (البقرة:125).

روى البخاري عن عمر بن الخطاب قال : (وافقت ربي في ثلاث، أو وافقني في ثلاث، قلت: يا رسول الله، لو اتخذت مقام إبراهيم مصلى . . .) والطائف يسن له بعد الطواف صلاة ركعتين خلف المقام، فإن لم يتيسر له ذلك للزحام صلاّها في أي جزء من الحرم . ولا يشرع تقبيل المقام، ولا التبرك به، أو التمسح به .

ب) المقام مكان نداء إبراهيم بالحج

قام إبراهيم الخليّل – عليه السلام – بعد أن أتم بناء ّالبيت بالأذان في ّالناس بالحج كما أمره الله : {وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ } (الحج:27) . قال ابن عباس : قام إبراهيم على الحِجْر فقال : (يا أيها الناس كتب عليكم الحج، فأسمع من في أصلاب الرجال، وأرحام النساء، فأجابه من آمن، ومن كان في علم الله أن يحج إلى يوم القيامة، لبيك اللهم لبيك) . (صححه ابن حجر في الفتح).

سابعاً : زمزم

اسم البئر التي تقع في الحرم، وهو مشتق من الزمزمة، وهو الصوت مطلقاً ، وقصة زمزم أن هاجر – عليها السلام – لما أشرفت على المروة سمعت صوتاً، فقالت : صه تريد

نفسها، ثم تسمعت أيضا، فقالت : قد أسمعت إن كان عندك غوث ، فإذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه – أو قال بجناحه – حتى ظهر الماء، فجعلت تحوطه وتقول بيدها هكذا، وجعلت تغرف من الماء في سقائها ، وهو يفور بعدما تغرف، قال ابن عباس: قال النبي ﷺ: (يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم – أو قال – لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عيناً معيناً. فقال: فشربت وأرضعت ولدها . . .) (صحيح البخاري، المساقاة، من رأى أن صاحب الحوض والقربة أحق بمائه) .

وكانت زمزم قد خفيت على الناس واندرست معالمها، حتى قدّر الله أن يجري هذا الماء على يدي عبد المطلب جد النبي ﷺ ، فهو الذي حفرها مرة أخرى ، وماء زمزم ماء شريف مبارك له فضائل منها :

أ) غسل صدر النبي ﷺ بماء زمزم

وذلك قبل الإسراء والمعراج لملاقاة ربه ، روى أبو ذر عن النبي ﷺ قال : (فُرج سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل – عليه السلام – ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست ممتلئ حكمة وإيمانا، فأفرغه في صدري، ثم أطبقه، ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء الدنيا . . .) (صحيح البخاري، الصلاة، كيف فرضت الصلاة في الإسراء) .

ب) ماء زمزم طعام طعم وشفاء سقم

عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : (خيرُ ماء على وجه الأرض ماء زمزم فيه طعام من الطعم وشفاء من السقم) (رواه الطبراني في المعجم الكبير وصححه الألباني) .

وعن مجاهد بإسناد صحيح قال ماء زمزم لما شُرِبَ له، إن شربته تريد شفاءك شفاك الله، وإن شربته لظمأ أرواك الله، وإن شربته لجوع أشبعك الله، وهي هزمة جبريل بعقبه، وسقيا الله إسماعيل عليه السلام .

ج) ماء زمزم خير ماء وبئرها خير بئر .

وذلك كما جاء في الحديث السابق، وهذا الماء المبارك يباح الوضوء منه، والاغتسال به ولا حرج في ذلك إن شاء الله .

د) مشروعية التضلع من زمزم

والتضلع هو : المبالغة في الشرب فوق الارتواء ، قال رسول الله ﷺ : (إن آية ما بيننا وبين المنافقين أنهم لا يتضلعون من ماء زمزم). (رواه الحاكم).

ذلك لأن المؤمن يشرب وهو مصدق بفضائله ومؤمن ببركته .

ولا مانع من نقل ماء زمزم إلى خارج مكة، وكانت عائشة تحمله إلى خارج مكة، وتخبر أن النبي ﷺ كان يفعل ذلك. (رواه الترمذي والبيهقي وصححه الألباني)

ثامناً : الصفا والمروة

قال سبحانه : { إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ اللّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ } (البقرة:158) .

وروى أحمد عن النبي ﷺ قال : (اسعوا، فإن الله كتب عليكم السعي) (مسند أحمد، من مسند القبائل، حديث حبيبة بنت أبي تجراة رضي الله تعالى عنها) .

وأصل السعي مأخوذ من طواف هاجر بين الصفا والمروة بحثاً وطلباً للماء، حتى كشف الله كربتها ، ولهذا يستحب أن يبالغ المسلم في السعي للتذلل لمولاه، والدعاء لخالقه أن يغفر زلاته، وينقله إلى حال الكمال والاستقامة . والصفا والمروة من شعائر الله، لأن العمل الذي يقع بينهما مُشعر بعبودية المرء لله .

تاسعاً : عرفات ، منى ، مزدلفة :

هي من المواقع المعظمة في البلد الحرام، و الأماكن التي أمر الشارع الحجاج بقصدها، غير أن عرفة ليست من الحرم ، وقد جاء ذكر هذه الأماكن بالصّراحة أو الإشارة في القرآن الكريم قال سبحانه : { لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُواْ اللّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّآلِّينَ، ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } (البقرة:199-198) .

والمشعر الحرام في الآيات مزدلفة .

وكان الناس قبل الإسلام يقفون بعرفات، إلا قريشاً تقف في مزدلفة في طرف الحرم،

فأمر الله نبيه أن يقف بعرفات .

وقال الله تعالى : { وَاذْكُرُواْ اللّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى } (البقرة:203) .

وقال تعالى : { وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ } (الحج: 27-28)، فهذه الآيات تشير إلى منى ، فالأيام المعدودات أيام التشريق بلا خلاف بين العلماء، والتي يقضيها الحاج في منى، والأيام المعلومات تدخل فيها أيام منى أو بعضها، على خلاف بين العلماء .

وفي منى(مسجد الخيف الذي صلى فيه سبعون نبياً). (رواه البخاري وحسنه الألباني).

وقال ﷺ : (كل عرفة موقف،وكل منى منحر، وكل مزدلفة موقف، وكل فِجاج مكة طريق ومنحر) . (سنن أبي داود، المناسك، الصلاة بجمع)

المدينة المنورة سلمها الله :

المدينة المنورة مدينة النبي ﷺ ودار هجرته ، وتسمى طابة وطيبة، كما جاء في صحيحي البخاري ومسلم ، وإذا كانت الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة، فالصلاة فيها بألف، وإذا كانت مكة حرماً، فهي حرم كذلك .

ولقد جاءت الآثار والأخبار عن خيرية الإقامة فيها ، وإنها تنفي الخبيث والفاسد من الناس، وأن الإيمان يرجع ويأرز إليها ، وأنها محفوظة من الطاعون والدّجال ، كما دعا لها النبي ﷺ بالبركة.

ومن المواقع المفضلة والأماكن التي تزار فيها :

أولاً : المسجد النبوي والصلاة فيه:

هو المسجد الذي بناه النبي ﷺ لما دخل المدينة، والصلاة مضاعفة فيه ، عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : (صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما

سواه، إلا المسجد الحرام)(صحيح مسلم، الحج، فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة) .

ومن خصائص مسجد رسول الله ﷺ ومزاياه أن فيه الروضة الشريفة ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ، ومنبري على حوضي) (صحيح البخاري، الرقاق، في الحوض) .

وفي هذا بيان لفضل الروضة الشريفة، أنها كروضة من رياض الجنة في نزول الرحمة، وحصول السعادة بما يتحقق من أثر عبادة الله فيها بدخول الجنة ، أو أن ذلك الموضع ينتقل بعينه في الآخرة إلى الجنة .

وفي المسجد قبر النبي ﷺ وصاحبيه، ويشرع للزائر بعد صلاة ركعتين الذهاب للسلام على النبي ﷺ ، مستقبلاً بوجهه جهة القبر، مستدبراً القبلة، ويقول (السلام عليك أيها النبي، ورحمة الله وبركاته ، ويحسن أن يضيف: السلام عليك يا نبي الله، السلام عليك يا خيرة الله من خلقه ، السلام عليك يا سيد المرسلين وإمام المتقين ، أشهد أنك بلغت الرسالة، وأديت الأمانة، ونصحت الأمة، و جاهدت في الله حق جهاده) ، ثم يخطو خطوة عن يمينه، ليكون أمام أبي بكر الصديق رضي الله عنه فيقول : (السلام عليك يا أبا بكر الصديق، السلام عليك يا خليفة رسول الله ﷺ ، رضي الله عنك وجزاك عن أمة محمد خيراً) ثم يخطو عن يمينه خطوة ، ليكون أمام عمر رضي الله عنه فيقول: (السلام عليك يا عمر، السلام عليك يا أمير المؤمنين، رضي الله عنك، وجزاك عن أمة محمد خيراً) .

ثانياً : مسجد قباء

يشرع للمسلم الذي قدم المدينة زيارة مسجد قباء والصلاة فيه ، وقد كان النبي ﷺ يأتي مسجد قباء كل سبت ماشياً وراكباً ، كما روى البخاري ، وفي رواية مسلم كان يأتيه فيصلي فيه ركعتين . وزيارة قباء والصلاة فيه تعدل عمرة، قال ﷺ : (من خرج حتى يأتي هذا المسجد – يعني قباء – فيصلي فيه كان كعدل عمرة) . (رواه أحمد والحاكم وصححه).

ثالثاً : مقبرة البقيع

يسن لمن قدم المدينة أن يأتي البقيع فيزور قبور الصحابة ويسلم عليهم ويدعو لهم كما جاء في السنة ، فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول : (السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وأتاكم ما توعدون ، غدا مؤجلون وإنا - إن شاء الله - بكم لاحقون ، اللهم اغفر لأهل البقيع الغرقد) (صحيح مسلم، الجنائز، ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها).

رابعاً : جبل أحد وشهداء أحد

عن أبي حميد ﷺ قال : (أقبلنا مع النبي ﷺ من غزوة تبوك ، حتى إذا أشرفنا على المدينة قال : هذه طابة وهذا أحد جبل يحبنا ونحبه) (صحيح البخاري، المغازي، نزول النبي ﷺ الحجر) .

ويسن لمن قدم المدينة أن يزور شهداء أحد ، فيسلم عليهم ويدعو لهم ، وزيارتهم وزيارة البقيع واقعة في عموم استحباب زيارة المقابر، والمشروع في زيارة المقابر الدعاء للأموات بالمغفرة والرحمة وهدفها تذكر الآخرة . وقد روى عقبة رضي الله عنه(أن النبي ﷺ خرج يوماً فصلى على أهل أحد صلاته على الميت) (صحيح البخاري،المغازي، أحد يحبنا ونحبه) .

ويسن أن يقول الزائر كما جاء في حديث بريدة قال : كان رسول الله ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر فكان قائلهم يقول: (السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله للاحقون ، أسأل الله لنا ولكم العافية)(صحيح مسلم، الجنائز، مايقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها)

وزيارة جبل أحد للاعتبار والتذكر، باب من أبواب الأجر والخير ، ولا بأس بزيارته لمجرد المشاهدة والإطلاع . لكن لا يجوز اعتقاد فضيلة مختصة بزيارة الجبل لعدم ورود نص شرعي بشأن هذا الأمر .

خامساً : وادي العقيق

عن عمر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : (أتاني الليلة آتٍ من ربي فقال :

صلِ في هذا الوادي المبارك وقل : عمرة في حجة) (صحيح البخاري، الحج، قول النبي العقيق واد مبارك) .

وختاماً

فهذه إشارات مختصرات ونظرات موجزات في فضل مكة والمدينة وما فيهما من أماكن ومشاعر ، أرجو أن تكون مرشداً لمكانتهما وفضلهما، وعظيم شأنهما ، وعوناً على العمل الصالح ، ودليلاً على ما شرع الله في زيارة الحرمين، وقضاء الأوقات فيهما، بما جاء عن النبي ﷺ ليكون هذا منهاجاً قويماً في كسب وتحصيل محبة الله ومحبة نبيه الكريم.

المراجع

١- إبهاج الحاج، د. ناصر بن مسفر الزاهراني، مكتبة العبيكان، الرياض .

٢- البلد الحرام فضائل وأحكام، اعداد كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى .

٣- تنبيه زائر المدينة على الممنوع والمشروع في الزيارة، د. صالح السدلان، دار بلنسية، الرياض .

٤- فضل المدينة وآداب الزيارة، أ. د سليمان الغصن، المملكة العربية السعودية .

٥- الكعبة مركز العالم، د. سعيد المرصفي، مكتبة المنار .

٦- ومض العقيق من مكة والبيت العتيق، محمد برناوي، مطابع الستين، جدة .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

مناجاة

إليك إلهي قد أتيت مُلَبيا *** فبارك إلهي حجتي ودعائيا

قصدتك مضطراً وجئتك باكيا *** وحاشاك ربي أن ترد بكائيا

كفاني فخراً أنني لك عابد *** فيافرحتي إن صرت عبداً مواليا

إلهي فأنت الله لا شيء مثله *** فأفعم فؤادي حكمة ومعانيا

أتيت بلا زاد ، وجودك مطعمي *** وما خاب من يهفو لجودك ساعيا

إليك إلهي قد حضرت مؤملا *** خلاص فؤادي من ذنوبي ملبيا

رحلة الحج والعمرة

بقلم : الشيخ محمد أبو الرب / مفتي محافظة أريحا والأغوار

الحمد لله رب العالمين حمداً طيباً كثيراً، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، وأشهد أنّ لا إله إلا الله، فرض على عباده زيارة بيته، وتعظيم حرماته، وأداء شعائره (ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ) (الحج : 32) ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، -صلى الله عليه وسلم-، خير من طبق شرع ربه، فكان أسوةً حسنةً لكل مؤمنٍ ومؤمنة.

وبعد ؛

فالحج ركن من أركان الإسلام، فرضه الله على كل مسلم عاقل بالغ مستطيع، قال تعالى: (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً) (آل عمران : 97).

وللحج فوائد عظيمة، منها : أن الحج يكفر الذنوب، ويطهر النفوس، قال رسول الله عليه وسلم : (**من حج ولم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه**). رواه البخاري.

والحج يقوي الإيمان، ويجدد الصلة مع الله تعالى، ويساعد على التوبة الخالصة، ويذكر المسلم بماضي المسلمين المجيد.

كما يعود الحج المسلم على الصبر وتحمل المتاعب، ويؤدي إلى تعارف أبناء المسلمين على اختلاف ألوانهم ولغاتهم، فيشعر المسلم برباط الإخوة الإيمانية التي تتحقق بالمسلمين.

والحج يجب على المسلم في العمر مرة، فقد خطب الرسول صلى الله عليه وسلم فقال: (أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا، فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت، حتى قالها ثلاثاً، فقال صلى الله عليه وسلم: لو قلت نعم لوجبتً ولما استطعتم). (صحيح مسلم ، الحج ، فرض الحج مرة في العمر)

أعمال الحج

إذا كتب الله تعالى لك زيارة بيته الحرام، وقدر لك أداء مناسك الحج، فعليك أن تقوم بأعمال ، وتتحلى بآداب ، منها :

1. المبادرة إلى التوبة ورد حقوق العباد وإخلاص النية لله تعالى

2. إذا ركبت الحافلة أن تسمي الله تعالى، وتدعو بدعاء السفر، فتقول : (سُبْحانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنا هَذا وَما كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ * وَإِنَّا إِلى ربنا لَمُنقَلِبُونَ)(الزخرف:14،13) (اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل، اللهم هون علينا سفرنا هذا واطوِ عنا بعده، اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم إنا نعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنظر، وسوء المنقلب في المال والأهل والولد) وتدعو ما تيسر لك من الدعاء.

3. الإكثار من ذكر الله تعالى، والاستغفار والتسبيح والتحميد أثناء السفر.

4. مساعدة من بحاجة إلى المساعدة ممن يكونون معك في الحافلة.

5. ترك الجدال والمراء.

6. إذا وصلت المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم، أن تبدأ بزيارة المسجد النبوي، وتصلي ما كتب لك، وتزور قبر النبي -صلى الله عليه وسلم-، ولا تتمسح بالجدران أو الحديد، فإن ذلك ليس من السنة.

7. زيارة البقيع حيث وقبور الصحابة رضوان الله عليهم، والترحم عليهم والدعاء لهم.

8. الصلاة في مسجد قباء إن استطعت.

9. فإذا وصلت إلى الميقات المكان المخصص للإحرام؛ وهو من جهة المدينة آبار علي، فعليك أن تغتسل، وتخلع ملابسك العادية، وتلبس ملابس الإحرام، وهي رداء وإزار للرجل، ويجوز للمرأة أن تلبس ما تشاء، وتصلي ركعتين، فإذا ركبت الحافلة فانوِ للعمرة أولا، وقلْ: لبيك اللهم بعمرة متمتعا بها إلى الحج، اللهم يسرها لي، وقدرها لي، وتقبلها مني، وإن حبسني حابس فمحلي حيث حبستني، ومن أراد أن يحج عن غيره فعليه

أن يذكر اسم من يحج عنه. وعلى الحاج بعد ذلك الإكثار من التلبية قائلاً: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك.

10. عندما يصل الحاج مكة، ويذهب إلى مكان سكنه، ويضع حاجاته، ثم يتوجه إلى البيت الحرام، وعند رؤية الكعبة يقول الحاج: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، اللهم هذا بيتك، عظمته وشرفته وكرمته، فزده تعظيماً وتشريفاً وتكريماً.

11. يبدأ الحاج أول عمله بالطواف حول الكعبة سبعة أشواط، تبدأ من الحجر الأسود، جاعلاً الكعبة على يساره، ومن السنة تقبيل الحجر الأسود إن استطاع الحاج، وإلا تكفيه الإشارة بيده، ولا يزاحم الناس، ولا يؤذيهم، ويقول الحاج عند الطواف : (بسم الله، والله أكبر، اللهم إيمانا بك، وتصديقا بكتابك، ووفاءً بعهدك، وإتباعا لسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم) ويقول عند باب الكعبة : (اللهم إن البيت بيتك، والحرم حرمك، والأمن أمنك، وهذا مقام العائذ بك من النار) . ويقول بين الركنين (اللهم آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار).

12. ومن السنة أن يكثر من الدعاء والاستغفار أثناء الطواف، ويرمل في الأشواط الثلاثة الأولى، بأن يسرع في المشي –هذا للرجال– ويمشي في الباقي، ويعد شوطاً عندما يعود الحاج إلى المكان الذي بدأ منه الطواف.

13. وعلى الحاج أن يحرص أن يكون طوافه من خارج حجرإسماعيل؛ لأن الحجر جزء من الكعبة.

14. وبعد أن تنتهي أخي المسلم من الأشواط السبعة (أي الطواف) من السنة أن تصلي خلف مقام إبراهيم ركعتين، لقوله تعالى: (وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى) (البقرة: 125) تقرأ بعد سورة الفاتحة في الركعة الأولى سورة: (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ)(الكافرون:1) وفي الركعة الثاني (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) (الإخلاص:1)

15. ثم تتوجه إلى زمزم، وتشرب من مائها،وتدعو بما شئت من الدعاء لآخرتك ودنياك.

16. ثم تتوجه أخي المسلم إلى السعي سبعة أشواط بين الصفا والمروة تبدا من الصفا

فاذا وصلت إلى الصفا، تنظر إلى الكعبة، وتقول: (الله أكبر الله أكبر ولله الحمد، الله أكبر على ما هدانا، والحمد لله على ما أولانا، لا إله إلا الله وحده لاشريك له، له الملك وله الحمد، يحي ويميت، بيده الخير، وهو على كل شيءٍ قدير، لا إله إلا وحده، أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه، مخلصين له الدين، ولو كره الكافرون، ثم تدعو بما شئت). ثم فإذا وصلت إلى المكان المشار إليه بالضوء الأخضر تهرول في مشيتك، وتقول: رب اغفر وارحم، وتجاوز عما تعلم، إنك أنت الأعز الأكرم.

17. وتعد شوطاً عندما تصل المروة ثم تعود إلى الصفا ويعيد شوطاً آخر وتكرر ما فعلت في الشوط الأول حتى تنهي سبعة أشواط.

18. بعد أن تنتهي من السعي تتحلل بتقصير شعرك أو حلقه (والمرأة تأخذ من أطراف شعرها) وتخلع ملابس الإحرام، وتلبس الملابس العادية، ويحل لك كل ما كان محظوراً وأنت محرم.

19. فإذا كان يوم الثامن من ذي الحجة تغتسل من مكان مسكنك، وتحرم للحجة، وتقول "لبيك اللهم بحجٍ، اللهم تقبله مني، ويسره لي".

20. يتوجه الحجاج إلى منى للمبيت بها؛ وهو سنة، وليس بواجب، ثم في اليوم التاسع من ذي الحجة يتوجه الحاج إلى عرفة، ويصلي في مسجد نمرة الظهر مع العصر جمعاً ، ثم يذهب الحجاج إلى الموقف وعرفات كلها موقف ما عدا عرنة ، وعلى الحاج أن يكثر في هذا اليوم من الدعاء والتهليل والاستغفار والتسبيح والتحميد والتكبير، قال صلى الله عليه وسلم: (أفضل الدعاء يوم عرفة، وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي: (لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير) .

21. وبعد مغيب شمس يوم عرفة يتوجه الحجاج إلى المزدلفة، ويصلون فيها المغرب مع العشاء جمع تأخير، ومن السنة المبيت بمزدلفة.

22. أخذ حصى الجمار من مزدلفة، ويبدأ برمي جمرة العقبة الكبرى بسبع حصيات،

ويجوز أن يرميها بعد منتصف الليل، ومن السنة أن يكون الرمي بعد طلوع الشمس.

23. وبعد أن يرمي هذه الجمرة يتحلل الحاج التحلل الأصغر، فيحلق شعر رأسه للرجل، والمرأة تأخذ من أطراف شعرها، ثم ينحر ويذبح الهدي، ويأكل منها، ويلبس ملابسه العادية، ويحل للحاج كل ما كان محظوراً إلا النساء.

24. يتوجه الحاج إلى بيت الله الحرام، ويطوف بالكعبة طواف الإفاضة، وهو ركن من أركان الحج، ويفعل كما فعل عندما وصل إلى مكة.

25. بعد الطواف يتوجه الحاج إلى الصفا، ويسعى بينها وبين المروة سبعة أشواط.

26. على الحاج أن يعود إلى منى، ويبيت فيها، لأن المبيت في منى من واجبات الحج.

27. وفي اليوم الثاني من أيام النحر يوم 11/ ذي الحجة، يتوجه الحاج إلى الجمرات مرةً أخرى، ويبدأ برمي الجمرة الصغرى بسبع حصيات، يكبر مع كل حصاة، ثم يقف وهو يدعو، ويذكر الله تعالى، ويسبح، ثم يتوجه إلى الجمرة الوسطى، ويرمي سبع حصيات ، ويكبر مع كل حصاة، ثم يقف ويسبح ويدعو، ويتوجه إلى الجمرة الكبرى، ويرميها بسبع حصيات، ولا يقف بعد رميها.

وفي يوم 12/ذي الحجة يعاود رمي الجمرات الثلاث التي رماها بالأمس، فيكون قد رمى 49 حصاة في اليوم الأول والثاني والثالث، وبعدها يعود إلى مكان سكنه في مكة، ويخرج من منى قبل مغيب الشمس، لمن تعجل، وبهذا يكون الحاج قد أتم أعمال الحج جميعها.

28. وقبل أن يعود الحاج الى بلده، وقبل خروجه من مكة يتوجه لزيارة البيت الحرام، ويطوف به طواف الوداع، ويفعل في هذا الطواف ما فعل في الطواف السابق.

محظورات الإحرام : يحرّم على الحاج بعد إحرامه ما يلي:

1 . لبس المخيط للرجال.

2 . صيد البر والإشارة إليه.

3 . المعاشرة الجنسية.

4 . تغطية الرأس للرجل.

5 . تغطية الوجه للمرأة.

6 . الطيب، وتقليم الأظافر، وقص الشعر.

قال تعالى : (الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ) (البقرة:197) ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**من حج لله ، فلم يرفث ولم يفسق ، رجع كيوم ولدته أمه**) (صحيح البخاري ، الحج ، فضل الحج المبرور).

وأخيرا أخي الحاج أعلم أنك في سفر طاعة، ومسافر لأداء ركن من أركان الاسلام، فاخلص نيتك لله تعالى، وحافظ على دينك وإيمانك، فلا تؤذِ أحداً بقولٍ أو فعل، وعليك المحافظة على الصلوات الخمس جماعة في المساجد المفضلة على غيرها، وهي المسجد الحرام، والمسجد النبوي، وعليك المحافظة على طاعتك بعد عودتك من الحج، وأن تحافظ على هذا الفضل العظيم الذي منحك إياه ربك سبحانه.

مع تمنياتنا لكم بالسلامة والحفظ ذهاباً وإياباً

حجاً مبروراً وذنباً مغفوراً وسعياً مشكوراً وتجارة لن تبور

وبين الصفا والمروة الوفد قد سعى *** فإن تمام الحج تكميل مسعاه
فسبعاً سعاها سيد الرسل قبلنا *** ونحن تبعناه فسبعاً سعيناه
نهرول في أثنائها كل مرة *** فهذاك من فعل الرسول فعلناه

قال تعالى : ﴿ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ (النحل:43)

زاوية الفتاوى

الشيخ : محمد أحمد حسين / المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية
رئيس مجلس الإفتاء الاعلى

السؤال الأول :ما حكم الإحرام ؟

الجواب : الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الأمين وآله وأصحابه أجمعين، وبعد :

الإحرام بالحج أو العمرة ركن من أركان الحج أو العمرة، لا يصح كل من الحج أو العمرة بدونه . وهو نية أداء الحج أو العمرة، أو هما معاً، مع ما يتبعه من الأعمال الواجبة والآداب المتممة، فهو للحج كالنية للصلاة إذ لا تصح العبادات إلا بالنية، والحج من أركان الإسلام وعباداته، فلا بدَّ له من النية . ومظهرها الإحرام.

وللإحرام مظهران :

المظهر الأول : تجرد الرجال عن المخيط من اللباس، والمحيط بالعضو من الجسم، إحاطة محكمة كالجوارب . وارتداء ملابس الإحرام، وهي عبارة عن إزار يلف النصف الأسفل من البدن، ورداء يغطىَّ به النصف الأعلى. ومن السنة أن يكونا أبيضين .

أما المرأة فتلبس ما تشاء من أنواع اللباس الساتر لجسدها، ولكنها لا تغطي وجهها وكفيها .

المظهر الثاني : التلبية ، وهي قول الحاج : (لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك). وتبدأ التلبية بعد أن يصلي الحاج ركعتي سنة الإحرام . ويستحب الجهر بالتلبية للرجال، وبخاصة بعد الصلوات، وفي طريق الحج. ويبدأ وقت التلبية من أول الإحرام إلى أن يرمي جمرة العقبة الكبرى

يوم النحر . ويستحب للنساء خفض الصوت بالتلبية، بحيث تسمع نفسها فقط .

*** *** *** ***

السؤال الثاني : ما هي مواقيت الحج ؟

الجواب : الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الأمين وآله وأصحابه أجمعين، وبعد :

للحج ميقاتان؛ زماني ومكاني .

أما الميقات الزماني، فهو أشهر شوال وذو القعدة والعشر الأولى من ذي الحجة، وفي رأي آخر أن شهر ذي الحجة بكامله هو من الميقات الزماني للحج . لقوله تعالى : ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ﴾(البقرة:197).

وأما الميقات المكاني فهو المكان الذي حدده رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل الآفاق، بحيث لايجوز تجاوزه للحاج أو المعتمر بغير إحرام .

وهو لأهل المدينة أو من مرَّ منها ذو الحليفة، ويعرف بآبار علي .

ولأهل الشام الجحفة أو رابغ .

ولأهل اليمن يلملم .

ولأهل نجد قرن المنازل .

ولأهل العراق ذات عِرق .

فمن مر بهذه المواقيت أو حاذاها ينبغي عليه أن يحرم إذا أراد أداء الحج أو العمرة .

*** *** *** ***

السؤال الثالث : ماذا تفعل المرأة إذا حاضت بعد الإحرام ؟

الجواب : الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الأمين وآله وأصحابه أجمعين، وبعد :

فإن المرأة إذا حاضت بعد إحرامها للحج أو العمرة، تبقى في إحرامها تفعل كل ما

يفعله الحاج أو المعتمر غير الطواف بالبيت الحرام، فتقف بعرفة وبمزدلفة وترمي الجمار، فإذا طهرت من حيضها، تطوف وتسعى، وحجها صحيح . أما إذا استمر الحيض فخافت فوات الوقت وسفر القافلة، وكان دمها متقطعاً لا يستمر نزوله على مدى أيام حيضها، فيجوز لها أيام انقطاع الدم أن تغتسل وتتحفظ وتطوف طواف الركن «الإفاضة»، وهذا منقول عن الإمام مالك وأحمد رحمهما الله .

وأفتى الإمام ابن تيمية بصحة طواف الحائض طواف الإفاضة إذا اضطرت للسفر مع صحبتها، فالضرورة تقدر بقدرها .

*** *** *** ***

السؤال الرابع : ما حكم تجاوز الميقات بلا إحرام ؟

الجواب : الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الأمين وآله وأصحابه أجمعين، وبعد :

إذا تجاوز من أراد الحج أو العمرة الميقات المكاني بدون إحرام، فإما أن يرجع إلى الميقات فيحرم منه، ولا شيء عليه . وإما أن يحرم من مكة وعليه دم جزاء .

*** *** *** ***

السؤال الخامس : هل يصح الطواف بلا طهارة ؟

الجواب : الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الأمين وآله وأصحابه أجمعين، وبعد :

لا يصح الطواف بجميع أنواعه من غير طهارة، لأنه كالصلاة لابدَّ لها من طهارة، بخلاف السعي، فإنه لا يشترط فيه الطهارة، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : (إنما الطواف صلاة، فإذا طفتم فأقلوا الكلام) (مسند أحمد، حديث رجل أدرك النبي صلى الله عليه وسلم).

*** *** *** ***

السؤال السادس : ما حكم من ترك رمي الجمرات ؟

الجواب : الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الأمين وآله وأصحابه أجمعين، وبعد :

من ترك رمي جمرة من الجمرات الثلاث الصغرى، أو الوسطى، أو جمرة العقبة الكبرى، أو ترك رمي يوم من الأيام، وجب عليه دم جزاء، وكذلك من ترك الرمي كله يجب عليه دم واحد، ولا يجب على كل يوم دم .

*** *** *** ***

السؤال السابع : ما حكم المحرم إذا حلق رأسه أو لبس المخيط ؟

الجواب : الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الأمين وآله وأصحابه أجمعين، وبعد :

إذا حلق المحرم رأسه أو لبس المخيط فهو مخير بين أمور ثلاثة :

١- صيام ثلاثة أيام .

٢- أو إطعام ستة مساكين .

٣- أو ذبح شاة.

والدليل على هذا قول الله تعالى : (فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ)(البقرة:١٩٦).

*** *** *** ***

السؤال الثامن : هل يجوز للمحرم أن يغتسل أو يغير ملابسه ؟

الجواب : الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الأمين وآله وأصحابه أجمعين، وبعد :

يجوز للمحرم أن يغتسل ويغير ملابسه، ولكن يحرص على أن لا يحك جسده أو رأسه حتى لا يتساقط الشعر .

*** *** *** ***

السؤال التاسع : ما هو الحج المبرور ؟

الجواب : الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الأمين وآله وأصحابه أجمعين، وبعد :

الحج المبرور : هو الحج المقبول عند الله تعالى، وهو العبادة التي ليس فيها إثم أو رفث أو فسوق، لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم (**من حج للّه فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه**) (صحيح البخاري، كتاب الحج ، باب فضل الحج المبرور) أي نظيفاً من الذنوب .

وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (**العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة**) (صحيح البخاري، أبواب العمرة ، باب وجوب العمرة وفضلها).

والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآل

اللهم اجعل حجنا مبروراً و سعينا مشكوراً وذنبنا مغفوراً

يا رحمن السموات والأرض ورحيمهما .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه اجمعين

وبعد زوال الشمس كان وقوفنا *** إلى الليل نبكي والدعاء أطلناه

فكم حامد كم ذاكر ومسبح *** وكم مذنب يشكو لمولاه بلواه

فكم خاضع كم خاشع متذلل *** وكم سائل مدت إلى الله كفاه

وساوى عزيز في الوقوف ذليلنا *** وكم ثوب عز في الوقوف لبسناه

الإسلام دين رحمة

الدكتور سعيد القيق / عميد كليتي الدعوة والقرآن / جامعة القدس

حين عّرف خالق الكون ومبدعه سبحانه وتعالى إلى عباده بنفسه عّرفهم باسمه الرحمن الرحيم، وقال لصاحب الرسالة الخاتمة (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً للعالمين) (الأنبياء:107) ثم قدم رسوله بأنه رؤوف رحيم.

ثم كانت هذه الرحمة أساس وإطار تشريعات في كل الأمور، سواء منها ما يتصل بالإنسان الفرد أم بالأسرة أم بالمجتمع أم بالدولة أم بالعالم كله.

في رحمته بالإنسان أنه رحم ضعفه، وقدرة الشيطان عليه في إغوائه، فأعانه على الشيطان، بما منحه من العقل، وبما أرسل إليه من الرسل، ثم غفر له، وعفا عن خطئه ونسيانه، وما أكره عليه، إلى جانب هذا لم يجعل الشريعة حملاً ثقيلاً عليه، لا يقوى على النهوض به، وإنما يسّر عليه عند المشاق، فأعطاه رخصا (تيسيراً وتجاوزاً عن العقوبة، وذلك في حالات السفر والمرض، حيث خفف عنه الصلاة اكتفاء ببعضها).

كما رفع عنه العقوبة إذا اضطرته الظروف في مجاعة أو سفر إلى أن يأكل الميتة- وهي في أصلها محرمة، وجعل حالة الاضطرار مبدأ لتحليل ما لا يحل، فقال تعالى : (فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ) (البقرة:173) كما أباح للمريض أن يصلي قاعداً أو حتى وهو راقد على جنبه، كما جعل له كفارات لإسقاط ذنوبه، وجبر تقصيره في أداء العبادات. مثل كفارة الأيمان وكفارة نسيان بعض مناسك الحج والعمرة وغيرها.

وأكثر من هذا وأبلغ في بيان رحمة الخالق بعبده حسب رسالة الإسلام، أن قربه إليه، وأمره أن يدعوه ليستجيب له، حيث قال تعالى: (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عني فإني قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) (البقرة:186) وفتح له بهذا باب التوبة وتكفير الذنوب، ولو كان مثل زبد البحر، ومن رحمته تعالى بالأسرة التي

تضم الوالدين والأبناء والخدم أيضاً نلاحظ أمر الإسلام للإنسان ببر والديه، وحسن معاملتهما بأحسن ما يكون التعامل، حتى وإن كانا مشركين على غير ملة الإسلام (وَإِن جَاهَدَاكَ عَلى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ به عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) (لقمان:15)

كما أمر الأبناء أن يدعو لوالديهم بالرحمة بعد في قوله تعالى (وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً) (الإسراء:24).

أما رحمة الإسلام بالأسرة (الزوج والزوجة) فقد أمرها بحسن العشرة بين كل منهما مع الآخر.

ومعاملة الرسول صلى الله عليه وسلم لأهل بيته خير نموذج لذلك، وهو يقول (خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي) (سنن الترمذي) لأن الرحمة والمودة هما أساس بناء البيت المسلم على السعادة والطمأنينة.

وإلى هذا تشير الآية الكريمة : (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً) (الروم:21).

ومعروف أنه إذا غمرت الرحمة الأسرة، وربي عليها الأبناء، فإنها يقيناً ستتنامى لتشمل المجتمع كله، من المجتمعات الصغيرة إلى المجتمع الأكبر، حتى يتراحم الناس ويعيشون في الإسلام. وفي الإسلام مكرمة من المكرمات تسمى صلة الرحم، وهي مكرمة يدعو الإسلام إلى الحرص الشديد عليها.

وفي الحديث الشريف : (الرحم معلقة بالعرش تقول : من وصلني وصله الله . ومن قطعني قطعه الله) (صحيح مسلم) فالأقارب مأمورون إسلامياً بصلة الرحم لتنمية الرحمة وتوسيع دوائرها حتى تنتقل من الأب إلى الابن ومن الأم إلى البنت، هكذا يتراحم الجميع، وتلين قلوبهم فلا تعرف القسوة.

وبهذا التراحم يقتلع الإسلام العنف والقسوة من جذورها، وتعيش المجتمعات في سلام.

القدس ليست من ذهب

بقلم : الأستاذ جميل السلحوت / القدس

القدس هذه الحسناء التي تأسر القلوب ، هذه الصامتة على أحزانها ، صاحبة القلب الكبير الذي وسع محبة الناس المؤمنين والسائحين، من مشارق الأرض ومغاربها ، هذه الرائعة التي تحفظ تاريخاً عريقاً لمن بنوها وزينوها، وتحفظ تاريخ رسالات سماوية يؤمن بها آلاف الملايين ، هذه المعجزة التي صمدت أمام غزاتها ، فتحطمت سيوفهم على أسوارها، هذه المتربعة على عرشها تأبى أن تكون إلا كما أرادها خالق السماوات والأرض ، الذي أورثها اليبوسيين الذين اصطفاهم من بين عباده، كي يبنوها، لتكون علامة فارقة في تاريخ البشرية ، تشهد أن هذه الأرض لن تكون إلا كنعانية عدنانية .

ثم اصطفاها – سبحانه وتعالى – مرة أخرى لتكون معراج المصطفى – صلوات الله وسلامه عليه – إلى السماوات العليا ، ليقابل هناك الأنبياء– عليهم الصلاة والسلام، الذين اختارهم رب العزة لانقاذ البشرية من شرور الدنيا ، وليأتي بفريضة الصلاة التي كان الأقصى قبلتها الأولى، ولتتجدد إرادة الله بأن تكون هذه المدينة إسلامية إلى أبد الآبدين ، فاتسعت دائرة العروبة من جديد ، وازدادت حصانة عروبة المدينة، كون العروبة العامود الفقري لآخر الديانات السماوية .

القدس هذه المدينة الصابرة غنّى لها الغزاة الجدد بأنها من ذهب، عندما دخلوها بدباباتهم، فهدموا ما هدموا ،وقتلوا من قتلوا ،وشردوا من شردوا ، فكم ظلموك بهذا يا حبيبتي ، وكم حطّوا من قدرك ، ولو كانوا يعلمون أن كل ذرة تراب منك تعادل ملايين المرات من وزنها ذهباً ، بل إن كل ذهب العالم لا يساوي حجراً من حجارك ،أو كنزا من كنوزك، لأنك مجبولة بدماء الطاهرين والشرفاء المؤمنين، الذين فدوك بالغالي والنفيس،

ومجبولة بحضارات وتعددات ثقافية زاخرة .

لقد بالغ الغزاة في تمزيق أحشائك أيتها الصابرة، وقاموا باقتطاع وتقطيع أطرافك، ويزعمون أنهم يحبونك ، فهل شهد التاريخ محبّاً ينهش جسد حبيبته ويعذبها بهذا الشكل الفاضح المفجع ؟!

لقد سبقهم غزاة آخرون ، وقاموا بقتل أبنائك وأحبتك، الذين احتموا بالأقصى الجريح ، فوصلت الدماء إلى رُكب خيولهم، وبالغوا في إهانتك ، عندما استعملوا المسجد المرواني (خاناً) لخيولهم ، ثم سيّر الله لهم فارساً من فرسانه من شمال الرافدين ، فاكتسح ممالك ملوك الطوائف ، الذين عزت عليهم كراسيهم الواهية، فذلوا وتحالفوا مع الغزاة ضد بعضهم بعضاً ، وجاءك فاتحاً ومحرراً من جديد ، فكان أعدل ما يكون ، لم يحقد، ولم يغلل، ولم ينتقم ، بل حمّل فقراء الغزاة على دواب، وزودهم بالمؤونة ، وأعادهم من حيث أتوا ، فكان ناصراً لله ، فنصره الله .

أعرف يا حبيبتي أنك تعلمين أن ملوك الطوائف لم يبكوك كما بكى ذلك الملك ملكه الضائع في الأندلس ، فقالت له أمّه : (أتبكي كما النساء، ملكاً أضعته، ولم تحافظ عليه كالرجال) وبالتأكيد لأنك تعلمين أن التاريخ يعيد نفسه مرتين ، مرّة على شكل مأساة، ومرة على شكل ملهاة ، لكنك تكسرين قواعد التاريخ، لأن تاريخك يعيد نفسه مرات ومرات، بمأساة وملهاة ، ومع ذلك فإن الغزاة لا يتعلمون من التاريخ ، ولعل الغزاة الحاليين هم أكثر الغزاة تزييفاً للتاريخ ، فخدعوا أنفسهم بطاحونة التزييف العالمية التي يمتلكونها، فكذبوا وصدقوا أكاذيبهم، وازدادوا ضلالاً، وازدادوا جهالة وجهلاً بالتاريخ ، فعملوا بك ما تقشعر له الأبدان ، وما ترتجف له صحائف التاريخ ، لأن التاريخ لم يشهد تنكيلاً بجسد جميل بريء مثلما يشهد جسدك الطهور ، وإذا كان أحد الأجداد قد قال بالفطرة قبل مجيء الإسلام أن (للبيت رباً يحميه)، فصدقت فطرته، وتحطمت خراطيم فيله – جمع فيل – الغزاة قبل أن تصل البيت، وغار الغزاة في الأرض ، وكان العسس

الذي قاد جيش الغزاة عبرة لمن يعتبر، عندما رجم بالحجارة حتى الموت ، ولا يزال يرجم، وسيبقى يرجم إلى ما شاء الله.

فإنك أنت التي تحتضنين أولى القبلتين ، ومهد المسيح ، وتاريخ أمّة قال فيها الله ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (آل عمران:110)واثقة من أن لك ربّا يحيمكِ، ولن يتخلى عنكِ، فما الأعوام إلا ساعات في تاريخ الشعوب، وما الدهر إلا دول، من سرّته أعوام ساءته أعوام ، وما هي الا سحابة صيف ستنجلي ،وستعودين عروس المدائن كما أنت دوما.

ممارسات إسرائيل في ظل تطور

مشكلة الشرق الأوسط ووعد بلفور وانتهاك القانون الدولي

بقلم: د. حنا عيسى / أستاذ القانون الدولي

كيف تطورت مشكلة الشرق الأوسط :

إن ما يطلق عليه الآن في الأوساط الدولية، أو ما يعرف باسم مشكلة الشرق الأوسط، إنما يعني النزاع العربي الإسرائيلي، الذي بدأ يأخذ صورة المشكلة الدولية أو النزاع الدولي، بمعنى القيام –أو الادعاء– بقيام مصالح متضاربة ومتعارضة بين طرفين أساسيين هما : الصهيونية العالمية ومطامعها في إنشاء دولة في فلسطين بناء على ادعاءات تاريخية ودينية كطرف أول، والشعب الفلسطيني باعتباره صاحب الحق الأصيل في الإقليم المعروف باسم فلسطين، ثم أخذ هذا الادعاء الديني أو التاريخي سبيله إلى الوثائق الدولية بصدور وعد "بلفور" 1917م من انجلترا لصالح الصهيونية، ثم انتقل هذا الوعد إلى النصوص القانونية الدولية بإدماجه في وثيقة الانتداب بعد الحرب العالمية، وبذلك انضم إلى الطرفين الأساسيين طرفان جديدان، هما: انجلترا بإصدارها بإرادتها المنفردة وعد بلفور، ومنظمة عصبة الأمم بموافقتها على إضافة هذا الوعد إلى نصوص وثيقة الانتداب على فلسطين.

وخلال فترة ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية، أخذت الصهيونية العالمية تعد العدة لاغتصاب فلسطين، بمساعدة انجلترا وغيرها من الدول، حتى كانت نهاية الحرب العالمية الثانية، وإنشاء منظمة الأمم، التي أصدرت قرار التقسيم في 29 تشرين الثاني "نوفمبر" 1947م، وتلا ذلك دخول الدول العربية بقواتها المسلحة لمساعدة الشعب الفلسطيني، فكانت الحرب الأولى بين العرب والصهيونية العالمية، وتلا ذلك تثبيت دعائم الدولة اليهودية في جزء من فلسطين، ثم توسعها على حساب الحق العربي، واشتراكها في حرب 5 حزيران 1967م التي انتهت باحتلال كل فلسطين وسيناء والجولان، وبهذه الصورة أصبح أطراف هذه المشكلة الآن بجانب الطرفين الأساسيين اللذين بهما بدأت المشكلة في نهاية القرن التاسع عشر، وهما الطرف المعتدي المتمثل أولاً في الصهيونية

العالمية، والذي تجسد فيما بعد، وحتى الآن في الدولة الإسرائيلية، والطرف المعتدى عليه، وهو الشعب الفلسطيني، ثم دول المواجهة العربية وهي أساساً: مصر وسوريا والأردن ولبنان، أي الدول التي أصبحت نظراً لإطماع الصهيونية أو لمواقفها الصلبة ضد أطماع الصهيونية في الدفاع عن الشعب الفلسطيني، هدفاً للعدوان المتكرر من جانب إسرائيل، وكذلك أصبحت الأمم المتحدة طرفاً يتصل اتصالاً مباشراً بالمشكلة، لأن هذه المشكلة نشأت كما رأينا في أحضانها، وأيضاً تتصل بعض الدول المجاورة مباشرة بهذه المشكلة، وعلى وجه الخصوص الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا الاتحادية.

وعد بلفور

في 18 تموز 1917م قدم اللورد روتشيلد إلى بلفور مشروع قرار يقضي باعتراف بريطانيا بفلسطين وطناً قومياً للشعب اليهودي، وحقه في صيانة القومية اليهودية في بلده، والهجرة إليها وإقامة حكم قومي لليهود فيها، وإقامة حركة استيطان يهودية قومية لإعادة تأسيس فلسطين وتطويرها، وهنا أظهر بعض زعماء اليهود معارضة لإنشاء وطن قومي لهم في فلسطين، وقالوا إن اليهودية ليست أمة، وكان أدوين مونتاغو على رأس المعارضين، وكان أدوين هذا حاكماً للهند، وعضواً في مجلس الحرب البريطاني، وفي أيار 1917م كان "دافيد ألكسندر" – رئيس لجنة المبعوثين اليهودية البريطانية، "وكلود مونتفيوري" رئيس الجمعية البريطانية اليهودية، قد أصدرا بياناً عارضا قيام وطن قومي لليهود في فلسطين، وعارضا الصهيونية وخلق قومية يهودية علمانية، لأنها خطر على اليهود، لكنهما وتحت ضغط المنظمة الصهيونية أقيلا من منصبيهما.

وفي 3 أيلول 1917م قررت الحكومة البريطانية الموافقة مبدئياً على إصدار تصريح منها يؤيد طلب الصهاينة، شريطة أن ينص على إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، بدلاً من اعتبار فلسطين وطناً قومياً لليهود، وأن ينص على عدم المساس بحقوق الطوائف غير اليهودية في فلسطين، وفي 3 تشرين أول 1917م قدم الدكتور "حاييم وايزمن" "وروتشيلد" مذكرة جديدة للحكومة البريطانية وأبرقا إلى "براندیس ولسن" في الولايات

المتحدة الأمريكية يحثانه على العمل لإصدار بيان من الرئيس الأمريكي ولسن يؤيد إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، وفي نهاية شهر تشرين أول 1917م أصدر الرئيس الأمريكي تصريحاً قال فيه إنه يؤيد إقامة « كومنولث يهودي في فلسطين».

وفي 31 تشرين أول 1917م أقرت الحكومة البريطانية موقفها النهائي من طلبات الصهاينة في جلسة خاصة عقدت لهذا الموضوع، وفي 2 تشرين الثاني 1917م أصدر وزير الخارجية البريطاني « بلفور» تصريحاً على شكل رسالة وجهها إلى اللورد "روتشيلد"، عرف هذا التصريح فيما بعد « بوعد بلفور» وجاء فيه (إن حكومة جلالته تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين، على أن يفهم بجلاء بأنه لا يؤتى أمر من شأنه أن يجحف بالحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية الموجودة في فلسطين، أو بالحقوق والأوضاع التي يتمتع بها اليهود في أية بلاد أخرى).

ممارسات إسرائيل: انتهاك صارخ للقانون الدولي الإنساني

منذ احتلال إسرائيل للأراضي الفلسطينية سنة 1967م وهي مستمرة بخرق قواعد القانون الدولي الإنساني، وهذه الخروقات هي على النحو التالي:

1 . انتهاك الحق في الحياة والأمن الشخصي

يشكل قتل المدنيين الفلسطينيين مخالفة صريحة لقواعد القانون الدولي الإنساني، ومواثيق حقوق الإنسان، حيث نصت المادة 147 من اتفاقية جنيف الرابعة لعام 1949م، على تحريم أشكال الاعتداء على حياة المدنيين المحميين وأمنهم ، واعتبرت الاعتداء على الحق في الحياة من المخالفات الجسيمة للاتفاقية، إذا ما اقترفت ضد أشخاص محميين بالاتفاقية.

2 . هدم المنازل والاعتداء على الممتلكات العامة والخاصة

تحظر المادة 53 من اتفاقية جنيف الرابعة للعام 1949م على دولة الاحتلال تدمير أية ممتلكات خاصة ثابتة أو منقولة تتعلق بأفراد أو جماعات، واعتبرت المادة 8 من النظام الأساس للمحكمة الجنائية الدولية لعام 1998م أن جرائم الحرب تعني الانتهاكات

الجسيمة لاتفاقات جنيف لعام 1949م.

3. الاعتداء على الطواقم الطبية وإعاقة عملهم

تعتبر الممارسات الإسرائيلية خرقاً للمواد 16و17 من اتفاقية جنيف الرابعة لعام 1949م التي تنص على احترام المرضى والجرحى وتسهيل معالجتهم ، كما تعد خرقاً واضحاً للمواد 20و21 من البروتوكول الإضافي الدولي لاتفاقات جنيف للعام 1949 التي تتضمن حماية واحترام الموظفين المختصين بالبحث عن المرضى والجرحى المدنيين ونقلهم ومعالجتهم، وتؤكد على وجوب تمتع المركبات الطبية بالاحترام والحماية.

4 . حجز الحريات والاعتقال التعسفي للمدنيين الفلسطينيين

إن ممارسات إسرائيل للاعتقال التعسفي للفلسطينيين، وإخضاعهم للتعذيب والمعاملة القاسية، والحاطة بالكرامة، تعد انتهاكاً صارخاً لأحكام المواد 96-83 من اتفاقية جنيف الرابعة لعام 1949م، والمادة 9 من العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية، التي تؤكد على الحق في عدم التعرض للاعتقال والاحتجاز التعسفيين. وكذلك اتفاقية مناهضة التعذيب لعام 1984م.

5. الاعتداء على الأماكن الدينية

تعتبر الاعتداءات الإسرائيلية على أماكن العبادة مخالفة للمادة 53 من بروتوكول جنيف الأول لعام1977م، والتي حظرت الأعمال العدائية الموجهة ضد أماكن العبادة، التي تشكل التراث الثقافي أو الروحي للشعوب، كما اعتبرت المادة 8/ب من النظام الأساس للمحكمة الجنائية الدولية لعام 1998م ، أن توجيه هجمات ضد المباني المخصصة للأغراض الدينية من قبل جرائم الحرب.

6. الاعتداء على الصحفيين

تعتبر الاعتداءات على الصحفيين من قبل السلطات الإسرائيلية مخالفة لأحكام المادة 79 من بروتوكول جنيف الأول لعام 1977م، المكمل لاتفاقات جنيف الأربع، والتي نصت على:

أ. يعد الصحفيون الذين يباشرون مهمات مهنية خطرة في مناطق المنازعات المسلحة، أشخاصاً مدنيين، ضمن منطوق الفقرة الأولى من المادة 50.

ب. يجب حمايتهم بهذه الصفة، بمقتضى أحكام الاتفاقات، وهذا البروتوكول.

7. انتهاكات المستوطنين

تعتبر الأعمال التي يقوم بها المستوطنون ضد الفلسطينيين انتهاكاً للمادة 49 من اتفاقية جنيف الرابعة لسنة 1949م التي حظرت على دولة الاحتلال نقل مدنييها إلى المناطق المحتلة.

8. الاستيطان ومصادرة الأراضي:

واصلت سلطات الاحتلال الإسرائيلي استيطانها للأراضي الفلسطينية المحتلة خلافاً للأعراف الدولية، خاصة المادة 49 من اتفاقية جنيف الرابعة الخاصة بحماية المدنيين لعام 1949م، والتي حظرت على دولة الاحتلال نقل مدنييها إلى المناطق المحتلة، والمادة الثامنة الفقرة ب/8 من ميثاق المحكمة الجنائية لسنة 1998م التي اعتبرت قيام دولة الاحتلال بنقل أجزاء من سكانها المدنيين إلى الأراضي التي تحتلها من جرائم الحرب.

9. الاعتداء على حرية الحركة والتنقل

نصت المادة 13 من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان لعام 1948م على حق كل فرد في التنقل واختيار محل إقامته داخل حدود دولته، وحقه في المغادرة إلى أي بلد، وفي العودة إلى بلده.

10 . الإعدام خارج القانون « الاغتيالات»

ممارسات إسرائيل في قتل الفلسطينيين تندرج في إطار الإعدام خارج القانون، حيث نصت المادة 147 من اتفاقية جنيف الرابعة لسنة 1949م على حماية الأشخاص المدنيين في وقت الحرب، وكذلك القرار 65/1989 الصادر عن المجلس الاقتصادي والاجتماعي التابع للأمم المتحدة الذي أرسى مبادئ المنع والتقصي الفاعلين لعمليات الإعدام خارج القانون والإعدام التعسفي، والإعدام دون محاكمة.

11. الانتهاكات الإسرائيلية لحقوق العمال الفلسطينيين

تخالف إسرائيل بذلك المادتين 25 و40 من اتفاقية جنيف الرابعة اللتين تقضيان بحرية سكان الإقليم المحتل بالعمل، وبأنه « تحظر جميع التدابير التي من شأنها أن تؤدي إلى بطالة العمل في البلد المحتل، أو تقييد إمكانية عملهم...»

12. إغلاق المؤسسات الرسمية الفلسطينية في القدس المحتلة

تعد عملية الاستيلاء القسري على هذه المؤسسات المدنية خرقاً لاتفاقية جنيف الرابعة، التي تمنح الحماية للمدنيين والممتلكات كافة، وبذلك فإن الاستيلاء على الممتلكات المحمية الذي لا تبرره ضرورة عسكرية، ويتم بشكل غير قانوني وجائر، هو خرق للمعاهدة حسب نص المادة 147.

13. تجريف الأراضي واقتلاع الأشجار الفلسطينية

تندرج أعمال التجريف واقتلاع الأشجار في إطار العقاب الجماعي، والأعمال الانتقامية، والتي تحظرها اتفاقية جنيف الرابعة لسنة 1949م، فالمادة 1/2 من بروتوكول جنيف الأول لعام 1977م تنص على أنه» يحظر مهاجمة أو تدمير أو نقل أو تعطيل الأعيان والمواد التي لا غنى عنها لبقاء إسكان المدنيين.....إلخ».

14. تلويث البيئة الطبيعية الفلسطينية

تشكل الاعتداءات على البيئة الفلسطينية مخالفة لأحكام المادة 55 من اتفاقية جنيف الرابعة التي نصت على أن « تراعى أثناء القتال حماية البيئة الطبيعية من الأضرار البالغة واسعة الانتشار وطويلة الأمد».

15. الحق في التعليم

يشكل حرمان السلطات الإسرائيلية للسكان الفلسطينيين من الحق في التعليم انتهاكاً للمادة 26 من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، والمادة 13 من العهد الدولي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لسنة 1966م، والمادتين 28و29 من اتفاقية حقوق الطفل لسنة 1989م.

مجزرة بلدة الطنطورة الفلسطينية والإجرام الصهيوني

بقلم الأستاذ : أحمد محمود القاسم / رام الله

بلدة الطنطورة، احتلها الإغريق، في العصور الماضية، وكانوا يسمونها (دورا) أحيانا، وحاربوا حكام المنطقة الحشمونيين. ويبدو أن دورا هجرت بعد القرن الرابع للميلاد، وبعد مدة طويلة من الزمن، شيد الصليبيون في (دورا) قلعة سموها (ميرل)، وعندما حاول نابليون في أواخر القرن الثامن عشر، بسط سيطرته على فلسطين، مر جنوده المنسحبون بالقرية، وأحرقوها في شهر آب (أغسطس) من العام 1799م. ذكرتها ماري روجرز، شقيقة القنصل البريطاني في حيفا عام 1855م، وقالت إن القرية كانت تضم نحو 30 أو 40 منزلا مبنية من الحجارة والطين، أو الصلصال، وأن الأبقار والماعز، كانت عماد ثروة بلدة الطنطورة.

وصفت بلدة الطنطورة في أواخر القرن التاسع عشر، بأنها قرية ساحلية، يقع ميناؤها المبني على أطراف شبه جزيرة مرتفعة، شمال القرية مباشرة، وفيها بناء حجري مربع الشكل كان يستخدم لاستضافة الزائرين، والأرجح أنه كان عبارة عن خان، وكان فيها 1200 نسمة يزرعون 100 إلى 250 دونما من الأراضي الزراعية، وكان للقرية تجارة محدودة مع مدينة يافا. وفي مطلع أيار (مايو) 1948م، كانت القرية من أواخر القرى العربية الباقية في السهل الساحلي، الممتد من منطقة زومرين (زخرون يعقوف) جنوب حيفا حتى مدينة تل أبيب.

أجرى مراسل قناة الجزيرة القطرية "وليد العمري" لقاءً على الهواء مباشرة، مع الكاتب والباحث الاسرائيلي: (ثيودور كاتس) بخصوص ما جمعه من معلومات، وما قام به من

بحث ودراسة، عن مجزرة بلدة الطنطورة الفلسطينية في العام 1948م، وقد كان هذا اللقاء بمناسبة الذكرى الستين للنكبة الفلسطينية، وقيام الدولة الصهيونية، وهذه المجزرة في بلدة الطنطورة، لا تقل بشاعة وفظاعة عن مجزرة دير ياسين المعروفة، حيث لم يكشف النقاب عنها وعن تفاصيلها السرية إلا حديثا، ولم تلق اهتماما فلسطينيا، كما لاقته مجزرة (كفر قاسم)، مع أنها قد تفوقها فظاعة وتنكيلا.

(ثيودور كاتس) البالغ من العمر (56 عاما)، عضو كيبوتس «مغيل».. يعمل مركزا للمستوطنات التعاونية في الحركة الكيبوتسية الموحدة التابعة لحركة «ميرتس» اليسارية، والذي أعد البحث في إطار تقدمه للحصول على درجة (الماجستير) من جامعة حيفا، عمل وتجول طوال سنتين من أجل الوصول للأشخاص الذين تواجدوا في تلك الليلة الواقعة بين 22 و23 أيار 1948م في قرية الطنطورة.. تحدث(كاتس) مع بعض مشردي القرية الذين يسكنون اليوم في قرية (فريديس)، وبعضهم الآخر طردوا وهجروا إلى خارج البلاد، وجزء منهم يقيم حالياً في مخيم «اليرموك» قرب دمشق.

كما تحدث (كاتس) مع أقارب هؤلاء الناجين من المجزرة لسبب أو لآخر، ومع جنود لواء «الكسندروني» من الكتيبة (33) التي دعيت آنذاك باسم «كتيبة السبت»، إبان حرب العام 1948م، كما تحدث الباحث مع سكان بلدة «زخرون يعقوب» الإسرائيلية المجاورة لموقع قرية الطنطورة، والتي لم تبق منها سوى أطلال عدد قليل من المباني الحجرية القديمة. كذلك استند (كاتس) في إعداد بحثه ودراسته إلى معاينة وثائق في أرشيف الجيش الإسرائيلي.. وقد توصل في بحثه إلى نتيجة قاطعة، مؤداها أن ما حصل في قرية الطنطورة في تلك الليلة من شهر أيار عام 1948م كان مذبحة ومجزرة على نطاق جماعي.

بلدة الطنطورة، من بين البلدات التي دمرها الاحتلال الصهيوني عام 1948م أعدم جزءاً كبيراً من سكانها، وشرد الباقي، ودمر مباني القرية، وجرف مزروعاتها، وهي واحدة من قرى الساحل الفلسطيني، وهي تقع إلى الجنوب من مدينة حيفا على بعد نحو

24 كيلومترا. بنيت فوق تلة صغيرة، ترتفع قليلا عن الشاطئ الرملي المحيط بها، وكانت تربطها طريق فرعية بالطريق الساحلي العام، تصلها بمدينة حيفا، وكان في البلدة محطة لقطار سكة الحديد توفر الخدمات للخط الساحلي.

ظهر اسم (الطنطورة) للمرة الأولى في نقش يعود تاريخه إلى القرن الثالث عشر قبل الميلاد، يذكر فيه الفرعون المصري رعمسيس الثاني، كما يظهر في نص كتبه (وين-آمون) أحد المسؤولين في المعبد المصري، ويعود تاريخه إلى 1100 ق.م. يذكر أن جماعة فلسطينية هاجرت إلى ذلك الموقع في القرن الثاني عشر قبل الميلاد.

اعترف الباحث (كاتس) بحقيقة حدوث مجزرة إسرائيلية بحق أهالي بلدة الطنطورة الفلسطينية، واعترف بكل صراحة وعلانية، بأن القرية الفلسطينية، احتلت من قبل عصابات الهاجناة الصهيونية الإجرامية، ومن قوات الجيش الصهيوني، حيث قامت هذه القوات باعتقال عدد كبير جداً من أهالي القرية من نساء وشيوخ وأطفال وشباب، وتم عزل الشيوخ والنساء وأطفالهم إلى جهة، وعزل الرجال والشباب إلى جهة أخرى، وقد طلب من الشباب والرجال، حفر قبور لهم في مقبرة القرية، وقامت قوات من الجيش الصهيوني وعصابات الهاجناة الصهيونية، باستجواب الشباب والرجال، فيما إذا كان لديهم أسلحة يخفونها أم لا، وأين يخفونها، وفي كل الحالات، ومهما كانت الردود سلبا أو إيجابا، كان يطلق الجنود وأفراد عصابة الهاجناة النار عليهم، وعلى رؤوسهم بالذات، وكانوا بعد ذلك يشيرون لزملائهم الأحياء، بالعمل على دفنهم فورا في القبور التي حفروها بأنفسهم. وكذلك تم قتل معظم النساء والأطفال بنفس الطريقة تقريبا، وقال الباحث (كاتس) بأنه التقى مجموعةً من الجنود الصهاينة الذين ما زالوا على قيد الحياة، وكانوا ضمن من قاموا بهذا العمل الإجرامي، واعترفوا له بحقيقة ما حدث بالضبط، ومنهم من كان يفتخر بعمله هذا، وقالوا له بأن عدد القتلى من الفلسطينيين الذين تم إعدامهم بدم بارد في تلك البلدة الفلسطينية، يتراوح ما بين200 إلى 280 فرداً،

معظمهم من النساء والأطفال وكبار السن.

وقال الباحث الإسرائيلي (كاتس) في ردوده على أجوبة وليد العمري، بأنه كان يصدق كل ما قيل له عن الفلسطينيين، وعن فلسطين، أنها الجنة الموعودة لليهود، لكنه بعد قضاء أكثر من 40 عاماً على معايشته الواقع الصهيوني في فلسطين، ثبت له وتبين، بأن كل ما قيل له عن الفلسطينيين، كان كذبا وافتراءً عليهم، وأنه من خلال لقاءاته المتكررة مع الشهود العرب الفلسطينيين من بلدة الطنطورة، الذين تمكنوا من الفرار إلى المدن الفلسطينية المجاورة، وما زالوا على قيد الحياة، وأيضا من خلال لقاءاته مع الجنود الصهاينة، الذين عايشوا القرية، وكان بعضهم ممن شهدوا أو ممن نفذوا الجريمة الشنعاء بحق الفلسطينيين الآمنين، تعرف على حقيقة المجزرة في بلدة الطنطورة، وكيف أن المجزرة تمت بدم بارد، وبدون وجه حق، بأناس مدنيين آمنين جُمعوا من داخل بيوتهم ومنازلهم، وقال (كاتس) بأنه يشعر بالندم والألم لما حصل، من جريمة شنعاء، وأنه كان يشعر بأن عليه واجبا لفضح هذه الممارسات الصهيونية، وعدم السكوت عليها، على الرغم من مرور مدة طويلة على حدوثها، وأنه كباحث توخى الدقة والحذر الشديد في الكشف عنها عند توثيقها، وأرخ لها ودونها في كتاب باللغة الإنجليزية، كي يوثق لهذه الحادثة الأليمة والمفجعة بحق الفلسطينيين، وأن ضميره، لم يكن ليسمح له بالسكوت على ما حدث، دون فضحه وتوثيقه.

يؤكد كتاب «تاريخ حرب الاستقلال» أن القرار بحق تدمير بلدة الطنطورة، نفذ بتاريخ 22-23 أيار (مايو) 1948م، حيث هاجمت الكتيبة الثالثة والثلاثون في عصابة الهاجناة (الكتيبة الثالثة في لواء ألكسندروني) القرية، التي سقطت بسرعة وبدون قتال.

في شهر حزيران (يونيو) من العام نفسه، أنشأ المهاجرون القادمون من الولايات المتحدة وبولندا كيبوتس «نحشوليم» على أراضي القرية، إلى الشمال الشرقي من موقعها، وفي العام التالي، أنشأ المهاجرون والصهاينة القادمون من اليونان مستعمرة «دور» شرقي الموقع.

لم يبق من القرية الفلسطينية الأصلية، إلا مقام وقلعة وبئر قديمة وبضعة منازل، بعد أن هدم اليهود الصهاينة معظم منازلها، وينتشر نبات الصبار وكثيرا من شجر النخيل في أنحاء موقع القرية، وقد تحول الموقع إلى متنزه إسرائيلي يضم بعض المسابح.

أحد شهود المجزرة الصهيونية، الذين التقاهم (كاتس) كان المدعو فوزي محمود أحمد طنجي والملقب(أبو خالد) وهو ممن تبقوا من سكان البلدة من الأحياء، حيث يقول بأن هذه المشاهد المتعلقة بمجزرة الطنطورة، لن ينساها أبدا، فلغاية اليوم وبعد مرور 52 عاما تصيب جسمه قشعريرة، عندما يتذكر كيف ذبح أبناء عائلته وأصدقائه أمام عينيه.

يقول أبو خالد: «جمعونا بالقرب من شاطئ البحر، الرجال على حدة، والنساء على حدة، ووضع الأولاد والشبان الذين تبلغ أعمارهم من 12 عاما فما فوق مع الرجال، بينما وضع الأصغر منهم سنا مع الفتيات، بعد ذلك انتقوا سبعة الى عشرة من الرجال، وأحضروهم إلى مكان قريب من مسجد القرية، وهناك أطلقوا عليهم النار... ثم عادوا واقتادوا مجموعة أخرى وهكذا، ليصل العدد في النهاية إلى ما يقارب تسعين شخصا.. مع كل مجموعة، كانت تذهب مجموعة من الجنود، بينما كان بعض أهالي القرية يقفون ويشاهدون ما يجري.. بعد ذلك أخذوا كل من تبقى إلى مقبرة القرية، وأوقفوهم هناك، وهموا بإطلاق النار على الجميع.. لكنهم لم يفعلوا، ولم يواصلوا مجزرتهم، حيث وصل حوالي خمسين الى ستين شخصا من سكان كيبوتس «زخرون يعقوب»، وفي اللحظة التي رأوا فيها ما يحدث، تدخل عدد من كبار المسؤولين منهم، وأوقفوا المذبحة وقالوا: كفى..» فنجا مجموعة من رجالات القرية، كان الموت المحقق يلاحقهم.

ويضيف أبو خالد: «هؤلاء الجنود، الذين لن أنسى ملامح وجوههم ما حييت، بدوا لي مثل ملائكة الموت، عندما وقفت هناك، كنت واثقا بأنها اللحظات الأخيرة في حياتي، وإنهم سيأتون بين لحظة وأخرى ليأخذوني أيضا، ويطلقوا النار علي.. لا أعرف لماذا فعلوا بنا ما فعله الألمان بهم..».. وينفجر العجوز أبو خالد – البالغ من العمر 74 عاما،

والمقيم اليوم في مدينة طولكرم – فجأة ليجهش بالبكاء وهو يقول: «كان من الأفضل لو أنني مت هناك، دون أن أحمل معي هذه القصة حتى اليوم».

الشاهد الثاني للمجزرة وهو المدعو رزق عشماوي والملقب (أبو سعيد) الذي يسكن اليوم في قرية «الفريديس» كان وقت وقوع المذبحة فتى عمره 13 عاما.. تذكر «أبو السعيد» تلك الأحداث وقال: (على مسافة قريبة من مسجد القرية كانت ثمة ساحة بالقرب منها، أوقفوا الشبان على امتداد جدران البيوت.. كان ثمة طابور يضم حوالي 25 شخصا، صفت خلفهم أيضا فتيات.. وقف في مقابلهم حوالي عشرة أو اثني عشر جنديا، وعندئذ قام هؤلاء الجنود بكل بساطة، بإطلاق النار عليهم، فسقطوا قتلى في المكان.. أما الفتيات فسمح الجنود لبعضهن، بالذهاب ليمضين في طريقهن).

تذكر «عشماوي» كيف ذهب مع جندي يهودي لجمع الخبز من أجل أولاده ولآخرين.. وقال «في وقت إطلاق النار، منعني الجندي من مواصلة السير، إلى أن انتهى إطلاق النار، وبعد ذلك واصلنا جمع الخبز، وعدنا إلى شاطيء البحر، وعندما عدنا مررنا مجددا بالقرب من جثث قتلى، حينها شاهدت مجموعة أخرى، ربما 40 أو 50 شخصا صلبوا على امتداد الجدران، أطلق الجنود النار عليهم بالطريقة نفسها .. وفي وقت الانتظار، صوب الجنود سلاحهم نحونا، فحاولت كل واحدة من الأمهات، أن تغطي بقدر ما تستطيع على أبنائها، حتى يطلقوا النار عليها وليس عليهم.. أحد الأطفال، حاول مناداة أمه مستنجدا، لكن الجنود أطلقوا النار عليها وأردوها قتيلة.. أمي أنا أيضا كدنا نفقدها في ذلك اليوم.. فعندما هممنا بمغادرة شاطئ البحر باتجاه المقبرة، حصل شيء لأمي.. لقد أصيبت من شدة الخوف بشلل فجائي في ساقيها، ولم تعد قادرة على المشي.. لم نستطع جرها، وحاولنا التوسل أمام الجنود، كي يأخذونا بالسيارة. قال لنا الجنود: «لا داعي سنطلق النار عليها ونريحكم منها». نشأ جدل بين الجنود، وتمكن بعضهم بصعوبة من منع قتل أمي».

يقول عشماوي (أبو السعيد) أن المذبحة أوقعت حسب معلوماته أكثر من 90 قتيلا،

دفنوا في حفر كبيرة، حفرتان للشبان، وحفرة صغيرة للفتيات.. ويتذكر أبو السعيد أيضا جثة رجل كانت ملقاة في الشارع، وكيف أخذت زوجته وبناته يولولن بالصراخ، وكيف أن أحد الجنود أراد الإجهاز على الأم وبناتها، فتوسلت المرأة أن يسمحوا لها على الأقل، بأن تزيح جثة زوجها جانبا من حرارة الشمس، فمكنوها في نهاية الأمر من ذلك.

شلومو أمبر الذي كان في حينه في الخامسة والعشرين من عمره، شغل منصب ضابط مسؤول في الكتيبة رقم 33.. في الإفادة التي أدلى بها أمام الباحث «(كاتس)» قال أمبر: «المهمة التي كلفت بها في المعركة حول «الطنطورة» كانت نسف سلسلة جسر حديد كانت تصل بين طرفي واد ترابي.. ولكنني مع ذلك تواجدت بالصدفة طيلة اليوم في القرية، ورأيت أشياء، أفضل ألا أتحدث عنها..».

بعد صمت طويل، كتب (كاتس) في بحثه نقلا عن الضابط المذكور قوله: «التحقت بالجيش البريطاني، لأنني اعتقدت أن الشيء الأهم الذي يتعين على اليهودي عمله، يتمثل في محاربة الألمان.. ولكننا حاربنا في قرية الطنطورة، وفقا لقوانين الحرب التي أقرها المجتمع الدولي، ومن واجبي الإقرار بأنه حتى الألمان، لم يكونوا ليقتلوا الأسرى العزل، وبعد كل ذلك عاد الأسرى إلى بيوتهم سالمين، وهنا في الطنطورة قتلوا العرب». ويضيف «لم يكن بالإمكان الحصول هنا على انطباع بأن التوجه كان يهدف إلى إعادة الاحترام القومي، ولا اعتقد أن عدد الضحايا الذين سقطوا في «الطنطورة» كان كبيرا للغاية، بحيث يدفع الناس إلى هذه الموجة من الاستنكار، وخلاصة القول أننا خرجنا لاحتلال قرية كانت نائية، ولا تقع على خط مواصلات رئيس، وكانت هذه ظاهرة شاذة تماما، وذات مغزى واحد.

(شلوم نتانلي) كان في الرابعة والسبعين من العمر عند كتابة البحث، يقول عن نفسه إنه كان أول من اقتحم القرية، ويأتي هو الآخر بالشهادات حول حدوث المذبحة فيقول: «قمنا بجمع الأسرى ووضعناهم بجانب المسجد، وهناك قلنا لهم: ها هي الطريق نحو

طولكرم، اذهبوا إلى هناك مباشرة، ومن سيخرج عن الطريق سنقتله، ولم يقم أي جندي بإطلاق النار على أي مواطن حسب ادعائه، صحيح أن عددا كبيرا من سكان القرية قد قتل، وقد يصل عددهم إلى العشرات إبان المعركة. قمنا بالانتقال من بيت إلى بيت، وألقينا القنابل داخل البيوت، فإذا كان في داخلها نساء وأطفال، فمن الواضح أنهم أصيبوا هم أيضا، لم يكن من الممكن في حينه التصرف على نحو آخر، في ذلك الحين، كانت حرب، وفي الحرب يقتل الناس، اليوم توجد طرق أخرى مع صواريخ وأسلحة أكثر إتقانا، ولكن ما الذي كان بإمكاننا فعله في ذلك الحين؟».

في السابع والعشرين من أيار (مايو) 1948 بعد أيام من مجزرة الطنطورة سجل (نفتالي توليك ماكوبسكي) أحد جنود الكتيبة 33 الذي شارك في العملية في يومياته: (ما تعلمته هنا هو أن الجنود، يتقنون حرفة القتل بشكل جيد. كان هناك بعض الأشخاص اليهود الذين قتلوا على يد العرب. وقد انتقم الجنود انتقامهم الشخصي بالقنص. شعرت أنهم ينفسون عن كل الغضب، ويخرجون كل الأسى والمرارة التي تراكمت في نفوسهم. شعرت أن وضعهم أصبح أفضل بعد هذا العمل». ماكوبسكي الذي سجل ذلك في دفتر يومياته، ورد في دراسة (كاتس) أنه قتل في معركة «الشيخ مؤنس» في الأول من حزيران/ يونيو 1948.

هناك سؤال آخر مقلق، وهو لماذا لم تحظ «مأساة الطنطورة» كما وصفها أحد الناجين بمكانة لائقة في التاريخ الفلسطيني؟

الجواب على ذلك يبدو معقدا كما يقول كاتس، حيث يبدو أن مشردي القرية الذين بقوا في إسرائيل، آثروا تناسي مذبحة الطنطورة، والماضي، والاندماج في واقع حياتهم الجديدة، ومن المحتمل أيضا، أن يكونوا قد خافوا التحدث عن ذلك.

بالنسبة للفلسطينيين؟ الأمر ليس واضحا تماما، البحث الفلسطيني من حيث المبدأ لم يكرس حتى الآن الانتباه الجدير بالـ 423 قرية عربية التي مسحت عن وجه الأرض،

إبان حرب قيام إسرائيل، هذه الحقيقة مذهلة، إذا أخذنا بالحسبان حقيقة أنه لم يعد خلال عشر سنوات شهود أحياء للأحداث.

(كاتس) يعتقد بوجوب اكتشاف قرية تلو الأخرى، وسرد حكايتها. ولكن طريقته في البحث التي استندت إلى شهادات الناس الشخصية، والتي وردت بعد خمسين سنة من الحدث، تثير التحفظات في أوساط المؤرخين الإسرائيليين، الذين يفضلون أن تكون أبحاثهم مستندة إلى الوثائق المدونة. الشهادات الشخصية قد تكون تعاني من عدم دقة وتضارب. يبقى أن أنوه لوجود العشرات من الشهادات لمجزرة الطنطورة من أبناء البلدة والذي حالفهم الحظ بالنجاة من المجزرة، حيث اكتفيت بتقديم نماذج من هذه الشهادات لتوضيح حقيقة ما حدث فقط، وكلها تصب في نفس الاتجاه تقريبا.

يبقى واجب على الفلسطينيين، الذي يهمهم أمر قراهم، متابعة آثار هذه القرى، التي تم تدميرها واحدة تلو الأخرى، من قبل العصابات الصهيونية، وجنود الجيش الاسرائيلي، بعد أن عملوا المجازر في أهلها، والبحث عن تاريخها وأهلها الباقين إلى حد الآن، وسرد تاريخ هذه القرى، وما أصاب أهلها من دمار وتقتيل وتعذيب وتهجير. وأيضا على الفلسطينيين، حصر الأضرار المادية وغيرها، والمعاناة التي ألمت بأهالي هذه القرى من الفلسطينيين، وحتى يومنا هذا، ورفع قضايا ضد قيادة الجيش الصهيوني المسؤول الأول عما ألمّ بهذه القرى من المذابح والدمار، والمطالبة بالتعويضات المناسبة، أسوة بما قام ويقوم به اليهود الصهاينة من أخذ التعويضات على ما يدّعون أنه أصابهم على أيدي القوات النازية في أوروبا إبان الحرب العالمية الثانية، ونبقى نحن أبناء الشعب الفلسطيني، ننتظر حق عودتنا وتعويضنا عن خسائرنا على أيدي القوات الصهيونية الإجرامية.

من تراثنا المخطوط في بيت المقدس

مسألة في موضع الفقيه بين يدي المدرس لابن قاضي عجلون (831هـ ـ 876)

دراسة وتحقيق : أ.د. حسن عبد الرحمن سلوادي / عميد البحث العلمي والدراسات العليا
جامعة القدس المفتوحة

مقدمة : هذه رسالة عثرت عليها ضمن مجموع نفيس محفوظ في مكتبة مركز الأبحاث الإسلامية التابع لكلية الآداب للبنات / جامعة القدس ، ويضم عددا من المخطوطات القيمة لنفر من كبار العلماء والفقهاء والأدباء والمؤرخين المقدسيين، وغيرهم ممن وفدوا إلى بيت المقدس من الديار المصرية أو الشامية . ومن بين هذه المخطوطات رسالة للفقيه والمحدث المصري نجم الدين محمد بن أحمد الغيطي بعنوان: (الجواب القويم عن السؤال المتعلق بإقطاع السيد تميم)، وأخرى للعالم المقدسي شيخ الإسلام كمال الدين بن أبي شريف عنوانها: (صوب الغمامة في إرسال طرف العمامة) ، وفيه أيضا رسالة تتعلق بفضائل القدس لابن الفركاح عنوانها: (باعث النفوس في زيارة القدس المحروس) ورسالة في الألقاب المصطلح عليها وما يتصل بها من التراجم .

والرسالة التي نحن بصددها رقمها (52) في المجموع المذكور (1) في سجل مكتبة المركز، وهي تتناول قضية تربوية يختلط فيها الجانب النفسي بالجانب التربوي ، وتعد في نظر رجال التربية من العوامل الجديرة بالرعاية والاهتمام بالرغم من تعلقها بأحد الجوانب الجزئية المتصلة بالعملية التربوية ، وهي سلوك الطالب المتلقي، وحقه في اختيار مجلسه في قاعة الدرس، أو المكان المعد للتعليم، في المسجد، أو غيره من أماكن التعليم . ويناقش المؤلف في رسالته مشروعية هذا الاختيار وصوابه . ويبرز الآثار الضارة التي تلحق بالطلبة والمعلمين على حد سواء، من جراء إهماله وسلوك ما يخالفه.

والرسالة صغيرة الحجم لا تتجاوز سطورها الخمسة والعشرين سطرا، وقد ذكر في

خاتمتها ما يفيد أنها صورة خط مؤلفها ولكن دون ذكر تاريخ تأليفها أو نسخها .

مؤلف الرسالة

هو العالم الفقيه نجم الدين محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن محمد ابن شرف بن منصور بن محمود بن توفيق بن محمد بن عبد الله الزرعي الدمشقي الشافعي المعروف بابن قاضي عجلون (1)، وقد أطلق عليه هذا اللقب لأن جده لأبيه كان نائبا في قضاء عجلون، وكانت في زمنه من أعمال دمشق (2)، ولد في الثامن والعشرين من ربيع الأول سنة 831 هـ بدمشق وفيها نشأ وحفظ القرآن وتفقه بأبيه ، وسمع وقرأ عن مجموعة كبيرة من علمائها : منهم العلاء بن بردس، والعلاء الكرماني، وأبو الفضل المغربي، ثم غادرها مع أبيه إلى القاهرة سنة 850 هـ فتعرف على نفر من علمائها وأخذ عنهم، ويقال إنه التقى فيها الشيخ العز بن عبد السلام وأخذ عنه . وما زال يخالط العلماء ويأخذ منهم، حتى أصبح من كبار الأعيان . وولي بالقاهرة إفتاء دار العدل وتدريس الفقه في جامع ابن طولون والحجازية ، ثم عاد ثانية إلى دمشق ، فناب في تدريس الشامية الجوانية (3)والعزيزية(4) والأتابكية بالصالحية (5) وتولى مشيخة التصوف بالخاتونية بعد والده . ثم تصدر للتدريس في جامع بني أمية مع قراءة الحديث فيه ، وتولى عددا آخر من الوظائف والجهات، ولكنه ترفع عن النيابة في القضاء.

زار ابن قاضي عجلون القدس مراراً ومكث فيها فترة وتردد قدومه إلى القاهرة ، وقد مات في شوال سنة 876 هـ في مدينة بلبيس في طريق عودته إلى دمشق ، فحمل إلى القاهرة ، ودفن في تربة زين الدين بن مزهر ، صاحب ديوان الإنشاء الشريف لدى السلطان الأشرف قايتباي (6)، ولم يتجاوز عمره خمسة وأربعين عاما .

كان ابن قاضي عجلون كما وصفه السخاوي (إماما علامة متقنا حجة ضابطا جيد الفهم) (7)، وقد وصفه مؤلف شذرات الذهب أيضا بأنه (عالم مفنن) (8) تفقه بعلوم عصره وأتقن الكثير منها كالفقه والتفسير، وعلم النحو والصرف، والمعاني

والبيان، والعروض والحساب، والفرائض وغيرها، كما كان دينا عفيفا، وافر العقل .

وقد وضع في حياته القصيرة مجموعة كبيرة من التصانيف والمؤلفات، أهمها :

- مغني الراغبين في شرح منهاج الطالبين، للنووي .
- التاج في زوائد الروضة والمهاج .
- التحرير في شرح المنهاج، في أربع كراسات .
- رسالة في ذبائح المشركين ومناكحهم .
- هادي الراغبين إلى منهاج الطالبين يضم الأحباب في لبس فرو السنجاب .

وهذا بالإضافة إلى رسالته التي بين أيدينا ، والتي يبدو أنه ألفها في أثناء تواجده في مدينة بيت المقدس إجابة عن سؤال وجهه إليه بعض التلامذة الذين كانوا يتلقون العلم في المسجد الأقصى، الذي كان محور الحركة الثقافية والفكرية في فلسطين، في تلك الفترة، حيث كان أشبه ما يكون بالمعهد أو الجامعة التي يؤمها الطلبة من شتى بقاع العالم الإسلامي (9) .

صورة المخطوطة

نص الرسالة

مسألة في موضع الفقيه بين يدي المدرس لابن قاضي عجلون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وما توفيقي إلا بالله . عليه توكلت وإليه أنيب وبعد ، فقد وقع السؤال عن الفقيه (10) إذا أَلِفَ موضعاً يجلس فيه بين يدي المدرس حال تدريسه، هل يختص به، ويمتنع على غيره مزاحمته فيه ؟

والجواب أنه يدوم الاختصاص به ما لم يعرض عنه . وعبارة الروضة (11) من زيادته.

وأما مجلس الفقيه في موضع معين حال تدريس المدرس في المدرسة أو المسجد ، فالظاهر (12) فيه دوام الاختصاص لاطراد العرف (13) وفيه احتمال، وقد نقل ذلك عن الشيخ محيي الدين (14) جمع من المتأخرين، وكتبوا (15) عليه . وممن جزم بذلك صاحب الأنوار (16) فقال: (ولو جلس الفقيه في موضع معين من المدرسة أو المسجد حال تدريس المدرس دام اختصاصه) . انتهى .

وكأن صاحب الأنوار وقف على نقل صريح في المسألة ، فجزم بالحكم جزم (المذهب) من غير تعبير(بالظاهر) كما فعل في الروضة . ومن المتأخرين من قيّد المسألة بقيد حسن على وجه البحث، فقال بعد نقل كلام الروضة : « ويتجه أن حمل الاختصاص إذا كان أهلا للجلوس فيه، أما لو كان لا يفيد، ولا يستفيد فلا معنى له» . انتهى .

وهذه المسألة قد عمت بها البلوى بين الفقهاء ، وعظمت النفرة بينهم بسبب ذلك. ولكن اطمأنت النفوس إلى رعاية الحق السابق، ما لم يرفعه إعراض عن ذلك الموضع، فتعين العمل لما ذكرناه وفرارا من المنافرة (17) لقول النبي صلى الله عليه وسلم (لا تباغضوا ولا تدابروا ، وكونا عباد الله إخوانا) (18). ومما يتعين في مسألتنا أن المتكلم من ناظر أو مدرس يحسن النظر في ذلك، ويجلس كل واحد في موضعه الذي اعتاده وألفه، ويجتنب حظ النفس ويسلك بين الجماعة (دربا) (19) إلى الألفة والأنس والمودة،

فإن في هذه الخصلة معالم دينية ودنيوية ، وسلوك خلاف ذلك يوقع الفتن والشرور، ويعود ضرره على من كان السبب، كما لا يخفى على ذي لب. نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، ونسأله التوفيق لما يرضاه، والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

صورة خطه كتبه محمد بن ولي الدين الشهير بابن قاضي عجلون عفا الله عنهم

تعليق على الرسالة

لقد جلا ابن قاضي عجلون في هذه الرسالة الموجزة قضية خلافية تتعلق بأحد الجوانب التربوية، وأوضح رأيه فيها مستندا إلى رأيين : ورد أحدهما في كتاب (الروضة) للشيخ محي الدين النووي، ومؤداه أن دوام اختصاص طالب العلم بموضعه في قاعة الدرس، راجع إلى اطراد العرف ، ولكنه لا يفيد الجزم، فهو حكم لا يتعدى دائرة الاحتمال. وبالرغم من أن الظاهر يوحي بحق الطالب في موضعه الذي يختاره، ودوام اختصاصه به، دون منازعة من أحد .

والرأي الثاني لصاحب الأنوار الذي جزمه بالحكم من غير تعبير (بالظاهر) مؤكداً – دون ذكر دليل يستند إليه – أن الفقيه إذا ألف موضعاً بين يدي مدرسه دام اختصاصه به على سبيل التعيين . وقد أورد المؤلف تعقيبا على هذين الرأيين وجهة نظر من المتأخرين، الذين قيدوا المسألة حسب رأيه بقيد حسن، بقولهم إن محل الاختصاص مشروط بأهلية الطالب نفسه، أو انتفائها ، فإذا كان لا يفيد، ولا يستفيد من موضعه، فلا معنى حينئذ لاختصاصه به .

على أن المؤلف يميل إلى حسم المسألة بما يحقق مصلحة الطالب نفسه، ويتلاءم مع رغباته، ويرضي نوازعه وميوله ، فيدعو القائمين على التعليم من مديرين ومدرسين وغيرهم أن يحسنوا النظر في ذلك، دون تحيز أو ميل مع الهوى ، وأن يراعوا اختيار الطالب ويأخذوا به فيضعوا كل طالب في الموضع الذي يناسبه ويرضيه، تجنباً للفتن

والشرور بين الطلبة وفراراً من المنافرة التي نهى عنها الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه .

والمتمعن في سطور الرسالة يظهر له حرص المربين المسلمين على دعم مقومات التربية الإسلامية وإبراز غاياتها الفردية والاجتماعية (20) من حيث مراعاة الفروق الفردية ورغبات المتعلمين وميولهم . مع تنمية روح التعاون والانضباط ، وهو ما يؤدي في نهاية المطاف إلى ترسيخ الشعور بين الأفراد على أساس المحبة والوفاق.

وهكذا توضح الرسالة على صغرها بعض ملامح الصورة التربوية عند المربين المسلمين ، وتكشف لنا جزءاً من معالم التربية الإسلامية وأبعادها، حيث تظهر لنا حرص أولئك المربين على متابعة كل القضايا التربوية المتعلقة بتطوير التعليم، وتحسين وسائله ، وتصديهم لمناقشة كل المشكلات التي تعترض مسيرته العملية التربوية، مهما كان حجمها أو مستوى تأثيرها . وهذا الحرص معناه إدراكهم السليم لغايات التربية وأهدافها واتجاهها، لإعداد الفرد جسمياً، وعقلياً وروحياً وخلقياً .

الهوامش

1. انظر ترجمته في السخاوي ، الضوء اللامع ، 96:8 – 97 ابن عماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، 7: 322 ، إسماعيل البغدادي ، هدية العارفين ،207:2 الشوكاني ، البدر الطالع بمحاسن ما بعد القرن السابع ، 197:2. عمر رضا كحالة ، معجم المؤلفين 10: 223 – 224 . وقد ورد فيه اسم المترجم له هكذا : محمد بن عبد الله ولي الدين بن العجلوني نجم الدين أبو الفضل الشافعي، وهذا يتوافق مع ما ورد في خاتمة المخطوطة وقد سقط اللقب (ولي الدين) من ترجمة السخاوي جريا على منهجه في تجريد الأسماء من ألقابها .

2. هناك أخ له عرف بهذا الاسم وهو تقي الدين أبو الصدق أبو بكر بن عبد الله الزرعي الدمشقي (841– 928 هـ ، 1437 – 1522)انظر ترجمته في شذرات الذهب ، 8 : 157 ، الغزي ، الكواكب السائرة، 1 : 114 – 118 ، معجم المؤلفين 3 : 65 .

3. أنشأتها ست الشام أم حسام الدين ابنة أيوب شادي سنة 628 هـ وتقع قبلي المارستان النووي في دمشق، وممن ولي التدريس فيها أبو عمرو بن صلاح وتاج الدين بن عصرون والقلانسي . النعيمي ، (عبد القادر بن محمد الدمشقي) الدارس في تاريخ المدارس 301:1 – 313 .

4. تقع شرقي التربة الصلاحية لصق الجامع الأموي، أسسها الملك الأفضل، وأتمها الملك العزيز عثمان سنة 591 هـ . وهي من المدارس الشافعية . النعيمي ، الدارس في تاريخ المدارس ، 1: 382-398 .

5. أنشأتها أخت نور الدين أرسلان بن أتابك صاحب الموصل سنة 640 هـ ومما درسوا فيها تاج الدين الاسكندري وصفي الدين الهندي، ونجم الدين الصرصري، وحميد الدين بن جهبل ، وتقي الدين السبكي وغيرهم، انظر النعيمي ، الدارس في تاريخ المدارس ، 1: 149 - 150 .

6. مجير الدين الحنبلي ،الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، 2 : 283 .

7. السخاوي ، الضوء اللامع ، 8 : 97 .

8. ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، 7 : 322 .

9. انظر ، د. عبد الجليل عبد المهدي ، المدارس في بيت المقدس (عمان : مكتبة الأقصى ، د . ت) المقدمة، العسلي ، د كامل، معاهد العلم في بيت المقدس (عمان : جمعية عمال المطابع الأردنية ، 1981) ص : 10 وما بعدها ....

10. الفقيه : يقال فقه الشيء علمه ، وفقه فلان عني ما بينت له يفقهه فقها إذا فهمه، والفقيه : العالم ، ويبدو أنها استعملت في زمن المؤلف بمعنى من يتلقى العلم ويتعاطاه : انظر ابن منظور ، لسان العرب ، مادة فقه.

11. روضة الطالبين وعمده المتقنين في فروع الشافعية ، لمحي الدين أبي زكريا النووي (ت 676 هـ) انظر حاجي خليفة ، كشف الظنون ، 1 : 930 .

12. الظاهر في نظر الشافعية ، الذي له دلالة ظنية نشأت عن وضع أو عرف ، فإن صرف عن هذا المعنى الظاهر فأريد به المعنى المرجوح لقرينه فهو الموؤل بعكس (النص) الذي يدل على معنى بدون أن يحتمل معنى آخر . انظر ، الشيخ محمد الخضري ، أصول الفقه ، (القاهرة : المكتبة التجارية ، د. ت) ص : 129 .

13. العرف في نظر الأصوليين قسمان (قولي وعملي) والقولي : أن يكون الناس قد تعارفوا على إطلاق اللفظ العام على بعض أفراده كإطلاق الدابة على الحمار، وهذا يخصص العام لأن الشارع إنما يخاطب الناس بما تعارفوه من الإطلاقات، أما العملي فهو أن يكون اللفظ يشمل عاماً لم يتعارف الناس على إطلاقه في بعض أفراده ، ولكنهم لا يستعملون إلا بعض أفراده وفيه خلاف حول تخصيصه للفظ العام . انظر الشيخ محمد الخضري ، أصول الفقه ، ص : 184 .

14. محيى الدين أبو زكريا، يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني النووي الشافعي ولد في (النوا) من أعمال حوران سنة 631 /1233، وإليها نسب ، توفي فيها سنة 636 هـ 1277 . انظر ترجمته في السبكي ، طبقات الشافعية 5: 160 ، حاجي خليفة ، كشف الظنون 1: 930 ، الزركلي ، الإعلام 8: 149 .

15. الكلمة غير واضحة في النص ولعلها (كتبوا عليه) لأنه أكثر ملاءمة لسياق المعنى .

16. الأنوار لعمل الأبرار في فقه الشافعي ، لجمال الدين يوسف بن إبراهيم الأردبيلي الشافعي (ت : 799) وهو كتاب معتبر متداول وعليه تعليقات عدة . انظر حاجي خليفة ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون 1 – 195 .

17. المنافرة : المفاخرة والمحاكمة ، يقال نافرت الرجل قاضيته واستعملت في هذا الموضع (كالنفرة) التي بمعنى الخصومة والشحناء . انظر ، ابن منظور، لسان العرب ، مادة (نفر) .

18. حدثنا يحيى بن يحيى قال : قرأت على مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إياكم والظن ، فإن الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تناجسوا ولا تحاسدوا ، ولا تباغضوا ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخوانا انظر ، الألف المختارة من صحيح البخاري، اختيار وشرح عبد السلام محمد هارون ، رقم الحديث 773 ، 2: 316 . وانظر صحيح مسلم ، طبع الحلبي 1960 ، باب تحريم الظن والتجسس والتنافس والتناجش ونحوها 10:7 .

19. غير واضحة في الأصل، وأثبتت الكلمة اجتهاداً.

20. انظر تفصيلا لهذه الفكرة : د. أحمد فهيم جبر ، التربية الإسلامية بين الفردية والجماعية ، مجلة هدى الإسلام ، السنة الثالثة ، العدد الأول محرم 1405 هـ تشرين أول 1981 ، ص : 18

من أعلام فلسطين

الإمام الشافعي رضي الله عنه

جمع وإعداد / أ. صلاح الدين أبو جزر / رفح / فلسطين

الحمد الله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، بشيرا ونذيرا للعالمين محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد ،،

فإن من أبرز العلماء والأئمة الذين أخذ عنهم العلم، وصاحب مذهب من المذاهب الأربعة، ابن فلسطين الإمام الشافعي رحمه الله رحمة واسعة، وأنار له قبره إلى يوم القيامة، مثلما ما أنار لنا الطريق في شتى أمور الفقه والحديث واللغة والشعر، وغيرها من العلوم والكتب التي كتبها وتركها لنا، لتكون نورا لنا نقتدي بها ، ومرجعاً لنا ، فلا بد لنا ، مع وقفة مع سيرة هذا الإمام .

اسمه وميلاده ونسبه ونشأته في طلب العلم : هو محمد بن إدريس الشافعي، ولد عام 150هـ- 767م ،وهو نفس العام الذي توفي فيه الإمام أبو حنيفة، وقد غالى البعض، فقال أنه ولد في اليوم نفسه الذي مات فيه الإمام أبو حنيفة. والصحيح الذي ذهب إليه الجمهور أنه ولد في غزة بفلسطين، ووالده قرشي ويلتقي نسبه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في عبد مناف، وجده صلى الله عليه وسلم. أما أمه فمن قبيلة أخرى، من قبيلة الأسد، وهي قبيلة عربية أصيلة، ولكنها ليست قرشية. ولد الإمام الشافعي في أسرة فقيرة جداً، وبعد ولادته بعامين توفي أبوه، فقررت أمه العودة بابنها محمد إلى مكة ، لأنه قرشي ، حتى لا يضيع نسبه ، ولأن له سهم من ذوي القربى.

ولكن هذا المال الذي كانت تأخذه من سهم ذوي القربى كان قليلاً ، وقليلاً جداً، فعانت

هي ووليدها محمد بسبب الحرمان والفقر ، ولكن الأم كانت قوية الشخصية ، راسخة الإيمان، على جانب من العلم والحفظ، فأرادت لولدها أن يتعلم و يحفظ، فدفعت به إلى مكان في مكة يقرىء الصبيان. ولكن الأم لم تجد أجر المعلم، وكان متعطشاً للعلم والمعرفة، فكان المعلم إذا علَّم صبياً شيئاً، تلقَّف الشافعي ذلك الكلام، ثم إذا قام المعلم من مكانه ليقضي شأنه أخذ محمد مكانه، وراح يعلم الصبيان تلك الأشياء.

ورآه المعلم يفعل ذلك، فارتاحت نفسه، و نظر إلى أنَّ الشافعي يكفيه من أمر الصبيان أكثر من الأجرة التي يطمع بها منه ، فترك طلب الأجرة، واستمرت هذه الحال مع الشافعي حتى حفظ القرآن وهو دون العاشرة من عمره، ومنهم من قال و هو ابن سبع سنين.

عرف الإمام الشافعي بشجو صوته في القراءة. قال ابن نصر: كنا إذا أردنا أن نبكي قال بعضنا لبعض: قوموا إلى هذا الفتى المطلبي يقرأ القرآن، فإذا أتيناه (يصلي في الحرم) استفتح القرآن حتى يتساقط الناس، ويكثر عجيجهم بالبكاء من حُسن صوته ، فإذا رأى ذلك أمسك عن القراءة.

تحصيله وطلبه للعلم : كانت أمه قد وجَّهته لإتقان القراءة والتلاوة والتفسير على شيوخ المسجد الحرام، ولم يكد يبلغ الثالثة عشرة من عمره حتى أتقن ذلك إتقاناً جيداً ملفتاً للنظر. ثم اتجه الإمام الشافعي إلى علم الحديث ، فلزم حلقة سفيان بن عيينة ومسلم بن خالد الزنجي في المسجد الحرام. وكان الورق غالي الثمن باهظ التكاليف ، والإمام الشافعي وأمه في قلة وفقر ، فكيف يفعل في التدوين؟ يُروى أنه كان يلتقط العظام العريضة فيكتب عليها، أو يذهب إلى الديوان فيجمع الأوراق المهملة التي يلقى بها فيستوهبها ويكتب على ظهرها. هذه المعاناة وفقته إلى أن يعتمد على الحفظ، فتكوَّنت لديه حافظة قوية ساعدته مستقبلاً على حفظ، كل ما يسمع، وما يُلقى إليه من علم ومعرفة.

وبذكائه وملاحظته أدرك الإمام الشافعي أنَّ لغة قريش قد دخلتها ألفاظ غريبة، ولم يعد لسانها هو اللسان العربي السليم في فصاحته وبيانه، وعلِمَ أنه لا يستطيع أن يجيد علوم القرآن والحديث واستخراج الأحكام من النصوص، إلا إذا أتقن اللغة العربية الصحيحة. وكان يحضر في المسجد الحرام دروس إمام مصر الليث بن سعد، حين يأتي حاجاً أو معتمراً ،

وكان يوصي مستمعيه أن يتقنوا اللغة وأسرارها، وأن يتعلموا خاصة كلام هُذَيل، وهم قبيلة في البادية وأن يحفظوا أشعارهم، لأن هذيل أفصح العرب.

انطلق الشافعي إلى مضارب هذه القبيلة فأقام في ظهرانيهم، ولازمهم عشرة أعوام ،عكف خلالها على دراسة اللغة وآدابها وحفظ الشعر- حفظ أكثر من عشرة آلاف بيت - كما تعلَّم الرماية والفروسية ، وبرع فيهما، وقال عن نفسه : كانت همَّتي في شيئين، في الرمي والعلم، فصرتُ في الرمي بحيث أصيب عشرة من عشرة. وسكتَ عن موضوع العلم تواضعاً، عِلماً أنه في العلم أكثر من ذلك.

عاد إلى مكة وهو يحمل ثروة هائلة من شعر وأدب العرب ، حتى قال الأصمعي - راوية العرب المشهور - « صحَّحتُ أشعار الهُذَليين على فتى من قريش يُقال له محمد ابن إدريس. وأصبح الشافعي حجة عصره في اللغة؛ وعاد إلى مكة ليتعلَّم من علمائها أمثال أتباع عبد الله بن عباس وجعفر الصادق.

وكان الإمام سفيان بن عيينة إذا جاءه شيء من التفسير أو الفتيا التفت إلى الشافعي، فقال: سلوا هذا الغلام.

وكان الإمام الشافعي يوماً يحضر مجلس ابن عيينة، فحدَّث ابن عيينة بحديث أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان معتكفاً، فأتته صفية، فلما ذهبت ترجع، مشى النبي صلى الله عليه وسلم معها، فأبصره رجل من الأنصار، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنها صفية، إنَّ الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم). فقال ابن عيينة: ما فقه هذا الحديث يا أبا عبد الله ؟ فقال الشافعي: لو كان القوم اتهموا رسول الله صلى الله عليه وسلم لكانوا بتهمتهم إيّاه كفاراً، و لكنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أدَّب مَن بعده ، فقال : إذا كنتم هكذا فافعلوا هكذا ، حتى لا يُظَنَّ بكم، لا أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم - وهو أمين الله في وحيه - يُتَّهم. فقال ابن عيينة: جزاك الله خيراً يا أبا عبد الله، ما يجيئنا منك إلا ما نحبه. ولا عجب في ذلك، فقد كان يعمل ويهتدي وفق توجيهات أمّه البارّة التي كانت عالمة، حافظة وفقيهة. فقد استُدعِيَت مرة للشهادة أمام قاضي مكة، ومعها امرأة أخرى، وأراد القاضي أن يفرِّق بينها وبين المرأة الأخرى في الشهادة، ليسمع كلاّ منهما على حدة، فاعترضت وطلبت إلى القاضي

أن تكون شهادتها وشهادة المرأة الأخرى بحضور كليهما، واستدلَّت على ذلك بقوله تعالى: {أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى} [البقرة: 282].

وأجازه شيخ الحرم الإمام مسلم بن خالد الزنجي، وكان أول من أجازه، فقال له وهو غلام: أنت يا أبا عبد الله والله لقد آن لك أن تفتي. ولكن الشافعي مع هذا رفض أن يفتي، وكيف يفعل ذلك وهو يعتبر أنَّ سلّم العلم ما زال طويلاً، وكيف يفعل ذلك والإمام مالك في المدينة، وقد سمع من حديثه عندما جاء حاجّاً إلى بيت الله الحرام ؟!!!.

وأدرك الإمام الشافعي ما عند الإمام مالك من علم واسع، وأحب لقاءه، ولكنه تهيَّبَ أن يرحل إليه قبل أن يأخذ من علومه شيئاً، فأقبل على الموطأ فحفظه غيباً، ولم يكن يملك ثمنه فاستعاره وحفظه. وخشيَ أن لا يستقبله الإمام مالك لحداثة سنِّه ، فلقد اشتُهِرَ عن الإمام مالك أنه رغم سماحته و طيب خُلُقه كان صارماً في العمل ، ولا يبيح وقته للناس، ولا يستقبل من يطرق بابه خلال راحته في داره. ولكن الشافعي الشاب المتوقد المتوهج المتعطش إلى غَرف العلم لا يشبع نهمه الجلوس في حلقات درس مالك في المسجد، ولكنه يريد أن يتفرَّد بلقائه. فتوسطت له أمّه عند والي مكة، فأرسل معه رسالة إلى والي المدينة ، فلما وصلت الرسالة إلى والي المدينة وقرأها ، قال: يا فتى إنَّ مشيي من جوف مكة إلى جوف المدينة حافياً راحلاً أهوَن عليّ من المشي إلى باب مالك، فلستُ أرى الذل حتى أقف على بابه !.

فقال الامام الشافعي: أصلح الله الأمير، إن رأى الأمير يوجه إليه ليحضر. فقال الأمير: هيهات، ليت أني لو ركبتُ أنا ومن معي وأصابنا من تراب العتيق –حي يسكنه مالك– نلنا بعض حاجتنا ، وواعده على الذهاب إلى مالك في وقت العصر. ويروي الامام الشافعي فيقول: وركبنا جميعاً، فوالله لكان كما قال، لقد أصابنا من تراب العتيق، فتقدم رجل منا، فقرع الباب، فخرجت إلينا جارية سوداء ، فقال لها الأمير: قولي لمولاكِ أني بالباب. فدخلت ثم خرجت، فقالت: إنَّ مولاي يقرئكَ السلام، ويقول إن كان لديك مسألة فارفقها في رقعة يخرج إليك الجواب، وإن كان للحديث فقد عرفتَ يوم المجلس فانصرِف فقال لها الأمير: قولي له إنَّ معي كتاب والي مكة إليه في حاجة.

فدخلت وخرجت، وإذا بمالك قد خرج وعليه المهابة والوقار، وهو شيخ طويل مسنون اللحية، فرفع الوالي الكتاب إلى الإمام مالك، فطفق يقرأه، فلما بلغ إلى هذا: (إنَّ هذا رجل يهمني أمره وحاله فتحدثه ...وتفعل ... وتصنع ...). فرمى مالك الكتاب من يده، ثم قال: سبحان الله أوَ صار علم رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤخّذ بالرسائل؟! قال الشافعي: فرأيتُ الوالي قد تهيَّب أن يكلِّمه، فتقدمتُ وقلت: « أصلحك الله ... إني رجل مطلبيّ –من بني المطَّلِب– وحدَّثتُه عن حالتي وقضيتي، فلما سمع كلامي نظر إليَ، وكان لمالك فراسة، فقال: ما اسمك ؟ قلت: محمد، فقال: (يا محمد إنه سيكون لك شأن وأي شأن، إنَّ الله تعالى قد ألقى على قلبك نوراً، فلا تطفئه بالمعصية. إذا جاء الغد تجيء مصطحباً معك ما تقرأ به).

وطلب منه أن يأتي بمن يقرأ له الموطأ لصغر سنه، ولكن الامام الشافعي جاءه في اليوم الثاني ومعه الموطأ، وبدأ يقرأ عن ظهر قلب، والكتاب في يده. وكلما قرأ قليلاً تهيَّب مالكاً، وأراد أن يقطع، ولكن أعجب مالك حُسن قراءته وإعرابه، فقال: زد يا فتى، حتى قرأ عليه الموطأ في أيام يسيرة. قال الإمام مالك عنه: ما يأتيني قرشي أفهم من هذا الغلام، وقال: إن يك يفلح، فهذا الغلام.

ولازم الإمام الشافعي الإمام مالك تسعة أعوام، ولم ينقطع عنه إلا لزيارة أمّه أو لرحلة علمية، و كان قد ذهب في بعض الرحلات إلى العراق، وحصل ثروة من علم الإمام أبي حنيفة. وتلقى الامام الشافعي علومه من الإمام مالك، ومن باقي علماء المدينة.

وكانت المدينة أجلّ بلد حافظ على الطابع الإسلامي الأصيل، و أكثر الصحابة كانوا فيها، فإنَّ النبي صلى الله عليه وسلم بعد رجوعه من حنين ترك فيها نحو اثني عشر ألف صحابي، لبث فيها نحو عشرة آلاف، ثم ماتوا فيها، وتفرَّق في سائر الأقطار نحو ألفين. وما كان يوثَق بعلم العالم في جميع أقطار الخلافة الإسلامية، إلا أن يؤم المدينة، يختلف إلى علمائها و يروي عن حفاظها.

وفي إحدى رحلات الإمام الشافعي العلمية غاب عن المدينة زهاء عامين، وكان دائم السؤال عن شيخه مالك، ويوم عاد دخل المسجد النبوي، وتهيَّأ للجلوس في حلقة مالك، وما هي إلا لحظات حتى وصل مالك، وفاح ريح الطيب في أرجاء المسجد، وجلس مالك على كرسي أُعِدَّ

له، وأخذ يلقي المسائل على التلاميذ المتحلقين حوله، ومن بينهم وفي زحمتهم الشافعي، الذي لا يكاد يراه مالك. سكت الحاضرون ولم يجيبوا على مسائل مالك، فتضايق الإمام الشافعي، ثم أوحى بالجواب إلى الذي بجواره، وكذلك بجواب آخر وآخر، مالك يلقي المسألة، وجار الإمام الشافعي يجيب، ثم سأله الإمام مالك متعجباً: من أين لك هذا العلم ؟ فقال إنَّ بجانبي شاباً يقول لي الجواب، وإذا هو الشافعي، فتلقاه مالك بالترحاب والحفاوة والسرور، وقال له: أتمم أنت هذا الباب، وهذه إجازة من مالك للشافعي بالفتوى .

فلما كان عام 179 هـ توفي الإمام مالك، وبكاه الإمام الشافعي بكاءً حاراً. وكان الشافعي يعاني من الفقر ولا يبالي في سبيل إقباله على العلم والدراسة، فلما توفي الامام مالك شعر بفراغ، فالتفت يبحث عن عمل، وكان قد وصل إلى قمة الشباب، فبحث له بعض القرشيّن عن عمل في اليمن بوساطة والي اليمن، فأُعطِيَ عملاً جيداً في نجران، دون مستوى المحافظ بشيء قليل.

منهج الإمام الشافعي العلمي: أخذ الإمام الشافعي بالمصالح المرسلة والاستصلاح، ولكن لم يسمها بهذا الاسم، وأدخلها ضمن القياس، وشرحها شرحاً موسعاً. وكذلك كان الإمام الشافعي يأخذ بالعرف مثل مالك، ولكن لدرجة ما.

يروى إنه في أحد الأيام ، كان الشافعي في مجلس الإمام مالك ، فجاء رجل يستفتي مالكاً، يقول: إنه ابتاع طائراً من رجل، أقسم البائع بالله تعالى، وفي رواية بالطلاق، أنَّ طائره هذا لا يفتأ عن التغريد. فلما أخذه الشاري وجده يغرد حيناً، و يسكت حيناً، فسأل مالكاً فقال له: لك حق خيار العيب –أي أنه لك الحق في رده بسبب عيب فيه– وقد حنث في يمينه، أو على الرواية الأخرى وقع الطلاق. وكان الشافعي جالساً في ذلك المجلس، ولكنه لم يتكلم أدباً مع شيخه مالك. فلما ذهب الرجل لحق به، وسأله: طائرك يغرد في اليوم أكثر؟ أو يسكت أكثر؟ قال الرجل: بل التغريد أكثر، فقال له الشافعي: إذاً البيع صحيح، وليس لك خيار العيب، ولم يحنث وفي تلك الرواية لم يقع الطلاق. فجاء الرجل إلى مالك ، فلما ناقشه الشافعي قال له: يا سيدي، الألفاظ التي ننطق بها إنما نضعها في ميزان العرف الشرعي إن وُجِد –مثل الطلاق والعتق ... –، لكن إن فُقِدَ العرف الشرعي عندئذ نشرحه بالعرف اللغوي الدارج بين الناس،

فإن فُقِدَ العرف اللغوي الدارج بين الناس، نعود إلى اللغة العربية في جذورها وأمهاتها. ونحن نعود في هذا إلى كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد روينا عن المصطفى عليه الصلاة والسلام أنَّ امرأة جاءت تستشيره في رجلين قد خطباها فأيهما تتزوج، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: أما فلان فلا يضع العصا عن عاتقه، وأما فلان فصعلوك - أي لا يليق بك، من حيث المستوى الاجتماعي وغيره- .

قال الإمام الشافعي: فقوله صلى الله عليه وسلم "لا يضع العصا عن عاتقه" كناية عن كثرة السفر، وقد علمت أنه يصلي، فيضع العصا عن عاتقه، و يأكل ويضعها عن عاتقه، وينام ويغتسل، وفي كل ذلك يضع العصا عن عاتقه، ورسول الله صلى الله عليه وسلم صادق فيما يقول، إذاً هذه الكلمة سارت مسار العرف الدارج، وهنا -أي في مسألة الطائر- عرف في السوق، لو قال البائع هذا الطائر لا يفتأ عن التغريد، يعني أنَّ أكثر أوقاته التغريد.

من عباداته ونوافله

كان يُقسم ليله إلى ثلاثة أجزاء: ثلث ينام، وثلث يكتب، وثلث يصلي.

وكان يختم القرآن في كل شهر ثلاثين مرة، وفي رمضان ستين ختمة.

ومن نوافل الإمام الشافعي كثرة صلاته على النبي صلى الله عليه وسلم، وكان يحض على ذلك أصحابه، وتلاميذه، ومن يحضره، وكان أسخى الناس على الدينار والدرهم والطعام، لا يدخل على مكة حتى يتصدَّق بما معه.

تأليفه لكتابه (الرسالة) وأهميته

كتاب (الرسالة) هو عبارة عن مفاتيح لكيفية فهم الأحكام من النصوص، أصبح من عادة الإمام الشافعي أن يجلس في الحرم عند بئر زمزم، حيث كان يجلس الصحابي الجليل شيخ المفسرين عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

وقد كان المجتمع آنذاك يفتقر إلى هذا العلم ولم يكتب فيه أحد قبلاً ، صحيح أنَّ الإمام أبو حنيفة والإمام مالك كل منهما بنى فقهه على أصول ومبادىء، ولكن هذه المبادىء لم تسجَّل ولم يُصرَّح بها كلها، بل إنَّ تلامذتهما هم الذين استنبطوا الأصول من فروع المسائل، والذي أعان الإمام الشافعي على هذا العلم، علم استنباط الأحكام من النصوص، فضلاً عن كونه

عالماً بالفقه والحديث وبلوغه درجة قصوى من الذكاء، هو أنه عاش في البادية عشر سنوات، حيث أخذ الطبيعة العربية، والسليقة العربية من ينبوعها، فكان يعلم كيف يفهم الرجل العربي الجملة، وكيف يأخذ المعنى إثر المعنى من الجملة الواحدة، مما جعل من الشافعي حجةً في اللغة.

تدريسه و تأليفه لكتابه (الأم) : كان الامام الشافعي جامعة علم في شتى الفنون، فكان يجلس في جامع تاج الجوامع في مصر بعد صلاة الفجر، ويبدأ بالقرآن وعلومه، فيأتيه علماء التفسير وعلوم القرآن الفطاحل ليتعلموا منه، فإذا انتهى تحوَّل إلى الحديث، فيأتيه علماء الحديث ليتعلموا منه، وإذا فرغ انتقل إلى علوم اللغة وآدابها فيأتيه علماؤها يدرسون عنه وهكذا .

وفي مصر أعاد الامام الشافعي النظر في كتابه (الرسالة) فجدد تأليفها - و(الرسالة) التي بين أيدي الناس اليوم هي «الرسالة» المؤلفة في مصر - كما أعاد النظر في كتابه (الحجة) فألَّف بدله كتاب (الأم) وهو مجموع لكتب كثيرة جديدة ألَّفها الشافعي في مصر وهذا الكتاب هو المعروف والمشهور في أيامنا.

وكان الإمام الشافعي يتمسك بالأحاديث الصحيحة، ويعرِض عن الأخبار الواهية والموضوعة، واعتنى بذلك عناية فائقة، وقال ذاكراً فضل الله تعالى عليه: ما كذبت قط، وما حلفت قط بالله تعالى صادقاً ولا كاذباً.

قال أبو زُرعة: ما عند الشافعي حديث فيه غلط.

وقد أضاف الشافعي إلى مصطلح الحديث مصطلحات كثيرة، لم يُسبَق إليها مثل: الاتصال، والشاذ، والثقة، والفرق بين حدَّثنا وأخبرنا ...

مرضه ووفاته : كان الإمام الشافعي من الأئمة العاملين، فرابط فترة في مصر في الثغور، -وهي المواضع التي يُخشى هجوم العدو منها على بلد مسلم- وفي آخر حياته ظهرت عليه علة البواسير، وكان يظن أنَّ هذه العلة إنما نشأت بسبب استعماله اللُّبان - وكان يستعمله للحفظ - وبسبب هذه العلة ما انقطع عنه النزيف، وربما ركب فسال الدم من عقبيه، وكان لا يبرح الطست تحته، وفيه لبدة محشوة، وما لقي أحد من السقم ما لقي.

والعجيب في الأمر، بل يكاد يكون معجزاً أن تكون هذه حال الإمام الشافعي، ويترك في مدة أربع سنوات كلها سقم من اجتهاده الجديد، ما يملأ آلاف الورق مع مواصلة الدروس والأبحاث والمناظرات والمطالعات في الليل والنهار، وكأنَّ هذا الدأب والنشاط في العلم هو دواؤه الوحيد الشافي !. وألحَّ على الشافعي المرض، وأذابه السقم، ووقف الموت ببابه ينتظر انتهاء الأجل.

وفي هذه الحال، عند آخر عهده بالدنيا، وأول عهده بالآخرة، دخل عليه تلميذه المزني فقال: كيف أصبحت؟ قال: أصبحتُ من الدنيا راحلاً، وللإخوان مفارقاً، و لكأس المنيَّة شارباً، وعلى الله جلَّ ذكره وارداً، ولا والله ما أدري روحي تصير إلى الجنة فأهنِّئها، أو إلى النار فأعزِّيها ! ثم بكى وأنشد يقول:

ولما قسى قلبي و ضاقت مذاهبي جعلتُ الرَّجا مني لعفوك سلَّما
تعاظمني ذنبي فلما قرنته بعفوك ربي كان عفوك أعظما
وما زلتَ ذا عفوٍ عن الذنب لم تزل . تجود وتعفو مِنَّةً وتكرُّما

ودفن الإمام الشافعي – رحمة الله تعالى عليه – في القاهرة في أول شعبان، يوم الجمعة سنة 204 هجري – الموافق شهر يناير سنة 820 ميلادي، وكان له ولدان ذكران وبنت، وكان قد تزوج من امرأة واحدة.

من وصاياه و أقواله:

– ما تُقُرِّب إلى الله عز وجل بعد أداء الفرائض بأفضل من طلب العلم.

– طلب العلم أفضل من صلاة النافلة.

– من ضُحِكَ منه في مسألة لم ينسها أبداً.

– من حضر مجلس العلم بلا محبرة وورق كان كمن حضر الطاحون بغير قمح.

– ما ناظرتُ أحداً قط إلا أحببتُ أن يوفَّق أو يسدد أو يُعان، ويكون له رعاية من الله تعالى وحفظ، وما ناظرتُ أحداً إلا و لم أُبالِ بيَّنَ الله تعالى الحق على لساني أو لسانه.

رحم الله الإمام رحمة واسعة وادخله فسيح جناته مع النبي الصادق الأمين والأنبياء والصالحين.

رحم الله أبا المظفّر صلاح الدين الأيوبيّ ...

بقلم : الأستاذ كمال بواطنة / وزارة التربية والتعليم العالي

لن تنمحي من الذاكرة مقولة ذات مغزى كبير لأبي طالب الداغستاني ،وهو شخصيّة وطنيّة مسلمة مشهورة من داغستان : « إذا أطلقت نيران مسدسك على الماضي، أطلق المستقبل نيران مدافعه عليك » ؛ ذلك أنّ الأمّة بلا تاريخ كالشجرة بلا جذور، و من لا يعرف تاريخه فهو إنسان فقد ذاكرته. والأمم الناهضة تحرص دوماً على أن تبصَّر أفرادها بتاريخهم؛ لأنَّ التاريخ بما فيه من عظاتٍ مدرسة رحيبة، عطاؤها لا حدود له، وفي التاريخ دورات متشابهة، يقطف منها ذوو الأبصار النور الذي يجعلهم أقدر على فهم الحاضر، واستشراف المستقبل. وقد أصاب من قال :

في الاعتبار بمن مضى من قبلنا عبر وتلك هداية المسترشد

وكان على وعي من قال:

ومـــن وعى التاريخ في صدره أضـــاف أعماراً إلى عمره

وقد أفلح امرؤ نظر ففكر ،وفكر فأبصر،وأبصر فاعتبر.

وواقع الحال أنَّ تاريخ أمة الإسلام يزخر بالحوادث والشخصيّات التي لا تطالها يد النسيان، وصلاح الدين الذي مضى على ذكرى وفاته أكثر من ثمانمائة عامٍ كان وما يزال ذكره نديّاً، وكان وما يزال صفحة مضيئة في تاريخ هذه الأمة، بتقواه، وزهده، وجهاده، وبطولته، ومع أنه عاش خمساً وخمسين سنة إلا أنَّ الله- عزّ وجلّ- بارك له ولأمّته فيما

عاش، فكثرت أمداد عمره ، وإن قلّت آماده، فكانت حياته بعطائها المتواصل تعدل قروناً عدة. إنّه من أصل كرديّ، ولكنّ غيرته على الإسلام الذي آمن به إيماناً مطلقاً، ووعيه لقوله تعالى: « إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ » (الحجرات:13). جعله فارساً كميّاً في النهار، ساجداً عابداً في الليل، يحرّم على نفسه الضحك والأقصى بيد الصليبيين.

ولا غرابة أن المسلمين حزنوا لموته حزناً شديداً. يقول القاضي الفاضل في موته: (وقد زلزل المسلمون زلزالاً شديداً، وقد حفرت الدموع المحاجر، وبلغت القلوب الحناجر)، ويقول ابن شدّاد: (كان يوم موته يوماً لم يصب الإسلام والمسلمون مثله منذ فقد الخلفاء الراشدون –رضي الله عنهم– وغشي القلعة والملك والدنيا وحشة لا يعلمها إلا الله تعالى، وكان المسلمون يتمنون فداء صلاح الدين بنفوسهم؛ لشدّة حبّهم له). وكيف لا يحبّونه وقد كان مثال القائد المحرّر؟ فقد حرّر النفوس من الخضوع للمعاصي، فنقلهم من ذلّ المعصيّة إلى عزّ الطاعة قبل أن يجرّد السيف في وجه أعداء الله ؛ كانت المنكرات ظاهرة، والفواحش صريحة، والخمرة تشرب في الطرقات، فقمع هذه المنكرات، لأنَّ تقوى الله والخشية منه، وحسن الظنّ به والالتجاء إليه، واجتناب المحارم، وتنفيذ الأوامر هي أول مقدّمات النصر.

إنَّ الجيش الذي تتأصّل فيه هذه المعاني يصبح جيشاً لا يعرف الخور والنكوص. والله –سبحانه– لن يتخلى عن جيش يؤمن به ويثق به، ويعتمد عليه، وينفذ أحكامه، ويجتنب محارمه، (وَلَن يَجْعَلَ اللّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً) (النساء:141) فإذا تألّب الأعداء، وأعوزت الأسباب الأرضيّة فإن الله –تعالى– يمدّه بمدد السماء، ويقذف في قلوب أعدائه الرّعب، وينصره من حيث لا يحتسب، كيف لا وهو القائل : (إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرَّعْبَ فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) (الأنفال:12،13).

إنّ سيرة صلاح الدين تعدّ نبراساً لمن يريد النصر في وقت تنكّبت فيه أمّتنا الطريق، فقد انتصر على نفسه أولاً فكبحها عن المعصية؛ لأنّه هيهات أن ينتصر على عدوّ من لم ينتصر على نوازع نفسه!! وكما قال القرضاوي في شعره:

من خان حيّ على الصلاة يخون حيّ على الكفاح

يقول القاضي بهاء الدين عن تقواه: «كان -رحمه الله- خاشع القلب، غزير الدمعة، وكان -رحمه الله- كثير التعظيم لشعائر الدين، وكان مبغضاً للفلاسفة، ومن يعاند الشريعة. ويقول القاضي ابن شدّاد: «كان إذا سمع أنَّ العدو قد داهم المسلمين خرّ إلى الأرض ساجداً، داعياً لله -عزّ وجلّ- بهذا الدعاء: «إلهي قد انقطعت أسبابي الأرضية في نصرة دينك، ولم يبق إلا الإخلاد إليك والاعتصام بحبلك، والاعتماد على فضلك؛ أنت حسبي ونعم الوكيل». ويقول ابن شداد أيضاً: «رأيته مرّة ساجداً ودموعه تتقاطر على شيبته، ثم على سجادته، ولا أسمع ما يقول، ولم ينقض ذلك اليوم إلا ويأتيه أخبار النصر على الأعداء .. وكان أبداً يقصد بوقعاته الجمع، ولا سيما أوقات صلاة الجمعة؛ تبركاً بدعاء الخطباء على المنابر، فربّما كانت أقرب للإجابة».

إذا كان صلاح الدين قد أدرك فحوى قوله: (وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ) (الحجّ:٤٠)وقوله تعالى : (وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِن قُوَّةٍ وَمِن رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ) (الأنفال:60) فقد كان دائماً يسعى لاستنهاض عزائم المسلمين، وكان حديث الجهاد يشغله دائماً، ويستولي على قلبه وجوانحه استيلاءً عظيماً، بحيث لم يكن له حديث إلا عنه ، ولم يكن له نظر إلا في وسائله، أو اهتمام إلا برجاله، ولا ميل إلا إلى من يذكره ويحثُّ عليه، وكان همّ القدس عظيماً، لا تحمله الجبال عنده. والمؤرخون يخبروننا أن صلاح الدين ما أغفل يوماً تهيئة الأسباب المادية؛ فقد أنشأ ديواناً للجند، واهتم بصناعة الأسلحة، وأنشأ أسطولاً، وأنشأ له ديواناً خاصاً. وبنى القلاع الكثيرة التي ما زالت شاهدةً على جهاده، وهجر أهله، وولده، وظلَّ بعيداً عنهم فترة طويلة من

عمر الجهاد حتى يخلص الأرض من براثن الصليبية الحاقدة، ويطهر الأقصى من الغزاة المتوحشين، لقد مكث –رحمه الله– أكثر من خمسة عشر عاماً وهو يوحّد المسلمين حتى وحدهم، وبدأ بعدها رحلة الجهاد ضد الصليبين، فهزمهم هزائم منكرة. ومن ينسى معركة حطين التي كسرت شوكة أعداء الله، وبددت جمعهم، فتساقطوا بعدها كأوراق التين؟ ومن ينسى فتح بيت المقدس، شرفه الله بفتحها، ليكون ثاني اثنين بعد عمر ابن الخطاب رضي الله عنه؟

إن سيرة قائد فذّ كصلاح الدين تكشف البون الشاسع بين هذا النمط الفريد من القادة، وبين قادة آخرين من الذين ما حرّكوا جندياً لإقدام، وما قادوا الأمة إلى نصر، وما كانت بضاعتهم سوى خطب رنانةٍ، وكلمات حماسية ملتهبة؛ لإلهاء الجمهور وإلهاب عواطفه، واستثارة مشاعره، وهم في حقيقة أمرهم لصوص يسرقون خيرات الأمة، ويغوصون في بحر الرذائل، وهم في كلَّ مَّرة يضيفون للعدوّ بهزائمهم أراضي جديدة، حتى كأنّهم يقاتلون مع العدوّ لا ضدّه. إنَّ امرأة مثل شجرة الدرّ كانت أيقظ وأذكى وآمن على قومها من هؤلاء. فأين هم من صلاح الدين الذي يقول فيه أحد المؤرخين: (مات ولم يخلف في خزانته من الذهب والفضة سوى سبعة وأربعين درهماً، ودیناراً واحداً، ولم يخلف ملكاً ولا داراً ولا عقاراً ولا بستاناً ولا مزرعة، إلا أنَّه أبقى له مآثر أثيرة، ومحاسن كثيرةً)

نسأل الله –تعالى– أن يرزق الأمة رجلاً في تقواه وبطولته، يغسل العار، ويعيد الحقَّ السليب، فلقد كان مسعود الغدوات، محمود الروحات، ميمون الضحوات، صبر على المرض، وما أغمد سيف الحقّ حتى أتاه اليقين، فسلام الله عليه ورحماته ما سمعت أذن بخبر، وما امتدت عين لنظر.

من أخبار مكتب المفتي العام ودور الإفتاء الفلسطينية

إعداد: أ. مصطفى أعرج / دائرة الإعلام

سيادة الرئيس محمود عباس « أبو مازن » يقيم حفل إفطار أثنى فيه المفتي العام على مواقف فخامته

رام الله : أقام سيادة الرئيس محمود عباس « أبو مازن» – رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية / رئيس السلطة الوطنية الفلسطينية – حفل إفطار للعلماء ورجال الدين السمرة والمسيحيين في مقر الرئاسة في رام الله، جدد سيادته تمسكه بالوحدة الوطنية الفلسطينية، وضرورة إنهاء حالة الانقسام الداخلي، وقد أثنى سماحة الشيخ محمد حسين – المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية – في الكلمة التي ألقاها خلال مأدبة الإفطار على جهود الرئيس محمود عباس « أبو مازن» في رأب الصدع الفلسطيني وإعادة اللحمة إلى شطري الوطن، وقد أمّ سماحته بالحضور صلاة المغرب في مقر الرئاسة.

خلال ندوة حول القضاء العشائري: أين يبدأ وأين ينتهي؟!
المفتي العام يؤكد أن تطبيق أحكام الشريعة يغني عن أي قانون

رام الله: شارك سماحة الشيخ محمد حسين – المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية/ رئيس مجلس الإفتاء الأعلى– في ندوة بعنوان « القضاء العشائري :أين يبدأ وأين ينتهي؟!» والتي عقدت في قاعة بلدية البيرة بدعوة من الملتقى الفكري العربي، حضرها عدد من رجال القانون ورجال الإصلاح والمحامين والأجهزة الأمنية.

وقد أكد سماحته أن تطبيق الشريعة الإسلامية وأحكامها يغني عن أي قانون، وأن الابتعاد عن تطبيق الشريعة الإسلامية دفع الناس إلى اللجوء إلى قوانين وضعية، كما بين سماحته أن القضاء العشائري يلجأ إليه الناس لأنه أسرع في حل المشاكل من القضاء النظامي، الذي يستغرق وقتاً طويلاً في حل النزاعات والخلافات وإصدار الأحكام، مؤكداً أن القضاء العشائري لا يتعارض مع القضاء النظامي ولا يحد من صلاحياته.

خلال أمسية رمضانية
المفتي العام يدعو إلى الوحدة الوطنية ورص الصفوف

القدس: تلبية لدعوة البطاركة ورؤساء الكنائس في مدينة القدس المحتلة، تناول سماحة الشيخ محمد حسين– المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية/ خطيب المسجد الأقصى المبارك – طعام الإفطار في فندق النوتردام بالقدس، بحضور محافظ القدس المهندس

عدنان الحسيني، وعدد كبير من الشخصيات الدينية والرسمية والوطنية، ودعا سماحته في كلمة له خلال المأدبة إلى التسامح وإحياء القيم ورص الصفوف لما فيه مصلحة الوطن والمواطن.

خلال لقاء صحفي نظم في مقر نادي الصحافة المقدسي
المفتي العام يرفض المشاركة في انتخابات بلدية القدس

القدس: رفض سماحة الشيخ محمد حسين المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية / خطيب المسجد الأقصى المبارك – أية مشاركة فلسطينية في انتخابات بلدية القدس، وأكد سماحته في لقاء صحفي نظم في مقر نادي الصحافة المقدسي بالقدس المحتلة رفضه

مشاركة الفلسطينيين في هذه الانتخابات، لأن البلدية هي أحد أجندة تكريس الاحتلال، كما تطرق سماحته إلى القيود التي تفرضها سلطات الاحتلال على المدينة المقدسة.

خلال مأدبة إفطار ومهرجان تكريم رموز وشخصيات مقدسية
المفتي العام: القدس لأهلها وستبقى كذلك

القدس: بتوجيهات من سيادة الرئيس محمود عباس « أبو مازن» ، ورعايته حفظه الله، أقام معالي الدكتور رفيق الحسيني – رئيس ديوان الرئاسة – والعميد كفاح بركات – مستشار رئيس ديوان الرئاسة – مهرجاناً تكريمياً وإفطاراً جماعياً لشخصيات وأعلام ورموز مقدسية وممثلين عن مؤسسات وجمعيات ونوادي المدينة المقدسة، وعقد هذا التكريم تحت شعار « كلنا من أجلك يا قدس ...» وقد تم تكريم عدد من رجالات القدس ممن ساهموا في المحافظة على صمود أهلنا في القدس ، وأكد سماحة الشيخ محمد حسين – المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية/ خطيب المسجد الأقصى المبارك– في

كلمة ألقاها خلال المهرجان على أن القدس لأهلها وستبقى كذلك، وأن النصر شرقي والإيمان مقدسي والنصر القادم بهي وجلي، مثمناً هذه اللفتة الكريمة من سيادة الأخ

الرئيس محمود عباس «أبو مازن» بتكريم القدس وأهلها، وكان حفل التكريم هذا قد عقد في قاعة « روتانا » بالعيزرية، وحضره معالي السيد عثمان جميل ناصر محافظ القدس السابق كما حضره معالي محافظ القدس الحالي عدنان الحسيني ، وقاضي القضاة الشيخ تيسير التميمي، ورئيس وحدة القدس في ديوان الرئاسة الأستاذ أحمد الرويضي، بالإضافة إلى عدد من الشخصيات الاعتبارية، وممثلي الأجهزة الأمنية، وجمع غفير من وجهاء المحافظة.

المفتي العام يلتقي رئيس ديوان الرقابة المالية والإدارية ويلقي محاضرة عن الرقابة في الإسلام

القدس : التقى سماحة الشيخ محمد حسين المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية – خطيب المسجد الأقصى المبارك – معالي الدكتور محمود أبو الرب رئيس ديوان الرقابة المالية والإدارية، حيث بحثا سبل التعاون والقضايا ذات الاهتمام المشترك ،وأطلع سماحته رئيس ديوان الرقابة على نشاطات دار الإفتاء الفلسطينية ، وأشاد بعمل ديوان الرقابة المالية والإدارية والانجازات التي قام بتحقيقها على أرض الواقع مثمنا دوره في بناء الوطن وإقامة الدولة الفلسطينية، ودعا إلى تقديم التسهيلات لموظفي الرقابة المالية والادارية لمساعدتهم في أداء دورهم على الوجه المطلوب، من جانبه شكر أبو الرب سماحة المفتي العام

على هذه الزيارة وقدم شرحا عن أعمال الديوان ثم ألقى سماحته محاضرة دينية بعنوان «الرقابة بين القوانين الوضعية والسماوية» تحدث فيها سماحته عن نشأة الرقابة وأهميتها ، وبين بعض خصائص الرقابة المالية والإدارية في القانون الاسلامي السماوي، فهي ترتكز أولاً إلى رقابة الله سبحانه وتعالى الذي يعلم السر وأخفى ، وكذلك تتقيد بالحكم الشرعي الذي يضمن المحافظة على المال العام والرقابة عليه، وتتأثر الرقابة كذلك بالعقيدة الإسلامية وقيمها في بناء الرقابة الذاتية في نفوس الناس وأن الرقابة في النظام الاقتصادي الإسلامي تتميز بالمرونة والقدرة على الاستجابة السريعة والملائمة لكل ما يستجد من مجالات الرقابة في النظام الاقتصادي، حسب الحاجة والظروف الاقتصادية والاجتماعية للدولة الإسلامية. وأشار سماحته كذلك إلى القواعد والأحكام التي قررتها السنة كأساس لمشروعية الرقابة على المال العام ،وبين كذلك الحكم الشرعي في الهدايا التي تقدم للموظفين.

وتعرض سماحته إلى قيم الشريعة الإسلامية التي تدعو إلى التحلي بالاخلاص والأمانة في العمل وهي من أهم أسس الرقابة الذاتية للإنسان نفسه ، وأشار سماحته إلى أداء الرقابة من قبل القانون والجهات المسؤولة و «الجمهور» وأن عامة الناس يخضعون للرقابة والتي تشمل الرقابة الشعبية بالشورى والتناصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع ضرورة معالجة نتائج الرقابة ومتابعتها ، ،وفتح في أعقاب ذلك النقاش الذي شارك فيه الحضور، وأجاب سماحته عن التساؤلات التي طرحت .

مفتي محافظة جنين يلقي العديد من المحاضرات الدينية

جنين: ألقى فضيلة الشيخ محمد سعيد صلاح – مفتي محافظة جنين– العديد من المحاضرات الدينية في مديريتي شرطة محافظة جنين ومحافظة طوباس، تحدث فيها عن خلق آدم ووظيفة الإنسان في الأرض واستخلافه فيها لاعمارها ، وعبادة الله ﷻ، كما ألقى العديد من خطب الجمعة في مساجد المحافظة، حث فيها على التآخي والمحبة، واختير

فضيلته في مجلس الإدارة للجمعية الخيرية لرعاية اليتيم، كما شارك في ورشة عمل تحت عنوان «الواقع الاجتماعي إلى أين يتجه» وشارك في ورشة أخرى حول تخصص التنمية الريفية الذي ستطرحه جامعة القدس المفتوحة بالتعاون مع الإغاثة الزراعية.

مفتي محافظة نابلس يشارك في افتتاح مسجد جامعة النجاح الوطنية

نابلس: شارك فضيلة الشيخ أحمد شوباش – مفتي محافظة نابلس– في حفل افتتاح مسجد جامعة النجاح الوطنية في مقرها الجديد، وألقى فضيلته كلمة حول أهمية المساجد، كما ألقى فضيلته خطب الجمعة في عدد من مساجد المحافظة حث خلالها على الوحدة الوطنية ورص الصفوف، كما ألقى عدداً من الدروس في المساجد، وأصدر عدداً من النشرات التي شملت مختلف نواحي الحياة.

جدير بالذكر أن فضيلته مستمر في برنامج الفتاوى في إذاعة «طريق المحبة» بالإضافة إلى البرامج التي تقدم في وسائل الإعلام الأخرى.

مقر دار إفتاء محافظتي رام الله والبيرة وجنين

قامت دار الإفتاء الفلسطينية بالإجراءات الرسمية اللازمة لتحسين مواقع بعض مراكزها، فتم بعون الله تعالى نقل مقر دار إفتاء محافظة رام الله والبيرة من موقعه السابق الكائن في عمارة السعدية، شارع القدس، بجوار تكسي العلمين ، الطابق الرابع، إلى الطابق الأول من نفس العمارة وذلك تسهيلاً على المراجعين الكرام.

كما تم نقل مقر دار إفتاء محافظة جنين من موقعه السابق في شارع البساتين، إلى الطابق الثاني من عمارة فتحي الأحمد، شارع البساتين، شمال مديرية صحة جنين المركزية، خلف كلية أبو جهاد. بسبب ضيق المقر السابق، والحاجة إلى مقر أوسع منه.

وتكون دار الإفتاء الفلسطينية قد خطت بذلك خطوة عملية طالما تمناها أبناء المحافظتين.

مسابقة العدد 81

أسئلة المسابقة :

س1 : ما السنة التي حج فيها الرسول ﷺ ؟
س2 : ما سبب منع الطواف من داخل حجر إسماعيل ؟
س3: هل يشترط على المرأة أن تحج بثياب بيضاء ؟
س4 : ما المسجد الذي وضع في الأرض بعد المسجد الحرام ؟
س5: ما ميقات الشهر ؟
س6: ما المقصود بالمواقيت المكانية للحج ؟
س7 : ما اسم البلدة التي تقع جنوب حيفا، وظهر اسمها لأول مرة في نقش يعود إلى القرن 13 ق.م، ودمرها الاحتلال عام 1948م ؟
س8: ما رقم الآية التي وردت في سورة البقرة معلنة الحرب على المتعاملين بالربا ؟
س9: أين يقع الملتزم في الكعبة المشرفة ؟
س10: اذكر اسم صاحب كتاب الأم ؟

ملاحظة : يمكن العثور على إجابات المسابقة في محتويات هذا العدد ويفسح المجال لقبول الإجابات حتى موعد أقصاه 1/محرم/1429هـ .

جوائز المسابقة

الجائزة الأولى: 250 شيكلاً .
الجائزة الثانية: 200 شيكلاً.
الجائزة الثالثة: 150 شيكلاً.

شروط المسابقة

ترسل الإجابات على العنوان الآتي :
مسابقة الإسراء ، العدد الحادي والثمانون
مجلة الإسراء / مديرية الإعلام والبحوث الإسلامية
دار الإفتاء الفلسطينية
ص.ب : 20517 القدس الشريف
ص.ب : 1862 رام الله
يرجى كتابة الاسم الثلاثي والعنوان البريدي واضحين ورقم الهاتف إن وجد وكتابة الإجابات بخط واضح

حل مسابقة العدد 79

إجابات العدد 79

س1: وقت السجود .

س2: أربع مآذن .

س3: 15 هـ .

س4: اليابان .

س5: صدقة جارية ، علم ينتفع به ، ولد صالح يدعو له .

س6: السجع .

س7: ثمانية مصارف .

س8: عريف الجعيري.

س9: لا تجوز الوصية لوارث إلا بموافقة جميع الورثة .

س10: يمنعون الجمع مطلقاً إلا في عرفة والمزدلفة .

الفائزين في مسابقة العدد 79

الاسم	العنوان	قيمة الجائزة بالشيكل
1. مها عودة أحمد براهمة	أريحا	250
2. عامر عبد الكريم عامر	جنين	200
3. هنادي علي عودة	رام الله	150

ملاحظة: تم الإعلان عن إجابة المسابقة رقم 79 والفائزين بها .
وسيتم الإعلان عن حل مسابقة العدد 80 والفائزين بها في العدد 82.

الشهداء بروج هادية

بقلم: الأستاذ
طارق مصطفى حميدة

تتحدث سورة البروج عن ظروف صعبة عاشها دعاة التوحيد، في مكة زمن الرسول عليه الصلاة والسلام، وأصحابه رضي الله عنهم، ومن قبلهم المؤمنون السابقون أصحاب قصة الأخدود.

وتحكي عن حالة ظلمة حالكة في ليل بهيم، لا يكاد الواحد يرى موضع قدمه، وتصف كيف اشتد الأذى بالمسلمين حتى نشروا بالمناشير، وحرّقوا في الأخاديد.

وحين يعم الظلم والظلام، ويلف النفوسَ المؤمنة والمستضعفة مشاعرالحزن والكآبة، حزناً على الذين دفنوا تحت التراب من حملة مشاعل الإيمان، وخوفاً على النفس، وقلقاً على مصير دين الله، مما يلاقيه أتباعه على أيدي أعدائه.

عند ذلك كله يقسم الله تعالى بالسماء ذات البروج، مطمئناً المؤمنين أن دين الله في سماء عالية ذات بروج حصينة، وأن الكفرة من أعداء الدين، ليسوا أكثر من أقزام ينفخون على الشمس ليطفئوها، أو يصعدون «السلالم» لينزلوها. ولهذا يأتي ختام السورة مطمئناً المؤمنين أن هذا القرآن في مأمن، من أن تصل إليه أية يد بإحراق أو إلغاء أو إنقاص، فإنه (بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ) (البروج:21،22).

وتبرز هذه السورة عظمة الجريمة بتحريق المؤمنين، وتكشف عن سببها « وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ » (البروج:8) . فالكفار لغبائهم يتحرشون بالذين آمنوا بالله (العزيز) الذي تأبى عزته أن يترك عباده لأعدائه، وإن كان يمهلهم أن يتوبوا حتى بعد أن فتنوا المؤمنين والمؤمنات... فيبشر المؤمنين بجنته، وينذر الكفار ناره وبطشته.

ولعل في لفت الأنظار إلى السماء ذات البروج في جو الظلام البهيم، ما يرقى بأبصار المؤمنين إلى السماء لترى البروج الجميلة، فتزول عنها مشاعر الكآبة والحزن والانكسار، كيف لا وقد قال رب العزة﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاء بُرُوجاً وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴾(الحجر:16) إن هذه البروج زينة وبهجة للنفوس، وسعادة للقلوب وشرح للصدور، ولكن شريطة أن تجد لها جماعة من الناظرين. فتنشط نفوسهم من جديد لعمل الخير والقيام بأمر الدين.

ويبدو أن هنالك تشبيهاً للشهداء بالبروج، وكأن الآيات تقول للمؤمنين لا تظنوا أن هؤلاء قد غيبهم الثرى وطوتهم القبور، بل هم نجوم وبروج مضيئة ومُثُل عُليا، تستدعي منكم أن تشخصوا بأبصاركم إلى عليائهم، وتتابعوا مسيرتهم. وهو ما رأيناه في قصة أصحاب الأخدود الواردة في الحديث حيث كان استشهاد حملة الدين دافعاً إلى الإيمان الجماعي.